صيد الزواحف والقوارض والثديات الصغيرة

الأرنب

صفاته وسلوكه. الأرنب، حيوان من الصيد المتوسط المفضل لدى القناصين العرب. وما أولع بالصيد أحد إلا كانت الأرنب في مقدمة طرائده، فهو إن فاته الصيد الكبير كالمها وحمر الوحش والظباء، ففي الأرنب ما يكفي غذاءه اليومي. وتؤكل غالبا مشوية. وهي أفضل من الصيد الصغير كالضباب وصغار الطيور واليرابيع (الجرابيع).

وعند العرب أن النوع الكبير من الأرانب هو الذكر، وسموه الخزز، والجمع أخزة وخزان، وأن النوع الصغير هو الأنثى، وسموها الخرنق. وقد يطلق الخرنق على الذكر والأنثى ما دام صغيراً. وقيل إن الخرنق هو ولد الأرنب، فهو أولاً خرنق ثم سخلة ثم أرنب. ويسمى الذكر أيضاً القواع، والأنثى عكرشة.

ومما جاء عن خواص الأرنب في كتاب حياة الحيوان الكبرى: إذا شوي الأرنب البري وأكل دماغه، نفع من الارتعاش العارض من المرض، وإذا شرب من دماغه وزن حبتين في أوقيتين من لبن البقر، لم يشب شاربه أبدا. ومن أعجب ما في أنفحته أنك إذا طلبت داء السرطان رأيت العجب، وإذا شربت المرأة أنفحة الأرنب الذكر ولدت ذكراً، وإذا شربت أنفحة الأنثى ولدت أنثى، وإذا علق زبله على المرأة لم تحمل ما دام عليها.

قال أبوقراط: لحم الأرنب حار يابس يغسل البطن، ويدر البول، وأجوده صيد الكلاب وهو ينفع من بهظة السمن لكنه يحدث أرقاً، ويولد السوداء، والأبازير الرطبة تدفع ضرره، ويوافق أصحاب الأمزجة الباردة. ودماغه يؤكل مشوياً بالفلفل ينفع من الرعشة، وإنما صار يابساً

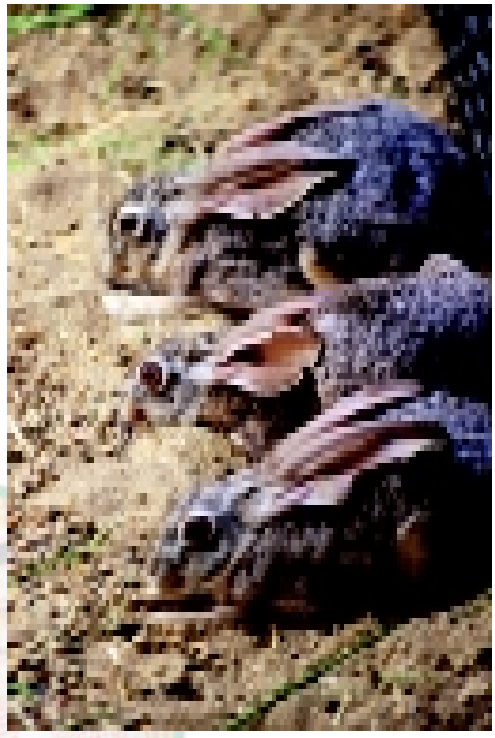

مجموعة من الأرانب البرية

لرعيه الفياض، لأن كل ما يرعى الفياض فهو أيبس مما يرعى في البيوت. وإن سقي إنسان دماغ الأرنب دانقاً مدافاً، بعد أن يلقى عليه وزن حبتي كافور، لم يلقه أحد إلا أحبه، ولم تنظر إليه امرأة إلا شغفت به وطلبت معاشرته. ودم الأرنب إذا شربت منه المرأة لم تحبل أبداً، وإذا طلي به البهق والكلف أزالهما. ودماغه إذا أكلت منه المرأة وتحملت منه وباشرها زوجها، فإنها تحبل بإذن الله، وإذا مزج به مواضع أسنان الصبي أسرع نباتها. ودم الأرنب إذا اكتحل به منع من نبات الشعر في العين. وقال مهراس: مرارة الأرنب إذا عجنت بسمن وديفت بلبن المرأة واكتحل به أزال البياض من العين وأبرأ القروح. وإذا طلي بدمها البهق الأسود أزاله. ولحم الأرانب إذا أطعم من يبول في فراشه نفعه إذا أدامه. وقال أرسطو: إذا شربت أنفحة الأرنب بالخل نفعت من سم الأفاعي، وإذا شرب منها قدر باقلاة أذهب حمى الربع المتناهية، وإذا شرب منها وزن درهم أسقط الأجنة وسهل الولادة، وإن خلطت أنفحة الأرانب بخطمي ووضعت على النصل أخرجته، وتخرج الشوكة من البدن بإذن الله تعالى بسهولة. وزبل الأرنب إذا بخر به الحمام وقع الضراط على من شمه ولم يتمالك أسفله، وإذا طلي به القوابي والنمش أذهبهما. وخصية الأرنب تبرىء من السم القاتل إذا طلي موضع اللسعة بها، وشحمه إذا وضع تحت وسادة امرأة تكلمت في نومها بفعلها. وضرس الأرانب إذا علق على من يشتكي ضرسه سكن وجعه.

ويضيف الدميري قائلاً «والأرنب في المنام امرأة حسنة لكنها غير آلفة، فإن ذبحها فإنها زوجة ليست بباقية، ومن رأى أنه يأكل لحم أرنب مطبوخاً فإنه يأتيه رزق من حيث لا يحتسب، ومن

صاد أرنباً أو أهديت إليه أو ابتاعها حصل له رزق أو تـزوج إن كان عزباً أو رزق ولداً أو ظفر بغريم».

وهناك أربعة أعمار يميزها أهل البادية في الأرنب ويطلقون على كل عمر منها اسماً، وهي: الخرنق لولـد الأرنب من الميلاد حتى ينـفصل عن أمه، والسلفع وهو الصغير بعد انفصاله عن أمه واعتماده في الأكل على نفسه وهو ضعيف ليس سريعاً في الهرب، وغويلب السلق وهو الذي لم يبق له سوى شهرين على بداية التزاوج وهو شديد السرعة صعب المِراس لا يسهل صيده، وأخيراً الأرنـب البالغ وهو الخـزز أو الجحـل إذا كان ذكـراً، والعدنة إذا كانت أنثى.

«والأرنب الـبري الـذي يصاد فـي المملكة العربـية السعودية حيوان صغير من الثدييات أو اللبونات، يتراوح طوله من ٣٣ إلـى ٥٢سم. وأذناه كـبيرتـان يتراوح طول الأذن من ١٠ إلى ١٢سم. الذنب قصير، والأطراف الخلفية أطول من الأمامية وهي جميعـاً مكسوة بشعر ناعم مماثل لشـعر الجسم. ولون الشعر الناعم الذي يكسو الجسم رمـلي فاتح، وتختلف درجة اللون حسب نوع الرمال ولونها وطبيعة البيئة التي يعيش فيها هذا الحيوان. ويعيش الأرنب في بيئات كثيرة متـنوعـة، حيث يـنتشـر في المـناطق الصـحراوية والـرمليـة، وفي النـجود والحمادّ.

يتصف الأرنب البري بكبر أذنيه

وكان الأرنب واسع الانتشار في بيئات المملكة المختلفة، ورغم أن أعداده قد تناقصت بشكل ملحوظ، بسبب الإفراط في صيده، فإنه لا يعتبر من الأنواع الفطرية المهددة بخطر الانقراض من البيئات السعودية، حيث إنه ما زال موجوداً بأعداد لا بأس بها في بعض المناطق، خاصة المناطق الرملية المفتوحة. والأرنب حيوان واسع الانتشار في العالم، يوجد في وسط أوروبا وجنوبها، وفي شرقي آسيا حتى أفغانستان، وفي بعض مناطق الصين، ومعظم أجزاء قارة أفريقيا وفي شبه الجزيرة العربية» (الوليعي ونادر ١٩٨٩: ٥٤).

وقد أدخل إلى أستراليا وتكاثر فيها بأعداد كبيرة لعدم وجود أعداء طبيعيين له، حتى أصبح آفة تهدد المزروعات، ويحتالون بكل الطرق للحد من أعداده والتخلص منه.

وتتغذى الأرانب البرية على الحشائش والأعشاب. وتخرج للبحث عن غذائها ليلاً، وتعود فجراً إلى موائلها، التي تتخذها تحت الصخور أو في الأكمات والأعشاب الكثيفة. وتتزاوج الأرانب البرية عند عمر ستة أشهر، وتلد من مرتين إلى ثلاث مرات خلال العام، وفي كل مرة من ٢ إلى ٥ من الصغار، التي تولد مفتوحة العينين، مكسوة الجسم بالشعر الناعم الخفيف. وتقع عينا الأرنب على جانبي رأسه.

وجاء في كتاب حياة الحيوان للدميري قوله: تزعم العرب أن الأرنب من مطايا الجن لأنها تحيض ولا تغتسل، شأنها في ذلك شأن الضبع، حيث يعتقد العرب أن الذي يحيض من الإناث من الإنسان والحيوان أربعة: المرأة والضبع والخفاش والأرنب، ويقال إن الكلبة أيضاً تحيض. وكل ما ذكره الدميري غير صحيح فلا يحيض من الحيوان سوى إناث الانسان والرئيسيات (القردة العليا)، أما ما عداها فلا تحيض إناثها. ومما يذكره الدميري عن العرب من الأعاجيب حول الأرنب أيضاً أنها لا تسمن، وأن قضيب الخزز ربما كان من عظم، وقال آخرون إن أحد شطريه عظم والآخر عصب، مثله في ذلك مثل قضيب الثعلب. وأن الأرنب تكون عاماً ذكراً وعاماً أنثى، وأنها إذا رأت البحر ماتت، ولذا لا توجد في السواحل. وهذا كله غير صحيح ولا يعدو أن يكون مزاعم وأساطير متداولة.

ويد الأرنب، أي طرفها الأمامي، قصيرة، ولذا تسرع في الصعود، ولا يلحقها من الكلاب إلا كل قصير

اليـدين. وبسبـب قصر يدي الأرنـب يخف عليه الصعود والتوغل في الجبال، وهو يعرف هذا، ولذا يعـمد إليه عند إرهاق الـكلاب له ليـهرب منـها فلا تلحقـه. ولذلك يعجب العـرب بكل كلب قصير اليدين، لأنه إذا كان كذلك كان أجدر أن يلحقها. وفيها الـتوبير، وتسميه البادية النقل، وهو الوطء على وبر يديـها ورجليهـا كي لا تترك أثراً خلفها، وهو غريـزة فيها. تفعله عند توجهها إلى مربضها، وإنما تفعل ذلك في الأرض اللينة، وإذا فعلت ذلك لم تسرع في الهرب، وإذا خافت أن تُدرك انحرفت إلى الحـزونة والصلابة. وإذا نقـلت الأرنـب لم تكـن بعـيدة عن مربضها، ولا يعرف أثر نقلها إلا خبير في تتـبع الأرانب. وليـس لشيء من الوحش ممـا يوصف بقصر الـيدين ما للأرنب من السرعة. وكانت العرب في الجاهلية تقول من علق عليه كعب أرنب لم تصـبه عين ولا نفـس ولا سحر، وكانت علـيه واقية، لأن الجن تهـرب منها وليست من مطاياها لمكان الحيض. ولطيب لحمه يفضل على الضب، قالوا في المـثل الشعـبي «حال دون الضـب أرنب»، ويـضرب المـثل لـلتـفاضـل فالأرنب أفضل من الضب. ويزعمون أنه ليس شـيء من الوحش، في مثل جسم الأرنب، أقـل لبنا ودروراً على ولد منها، ولذلك يضرب بدرها المثل. وللأرنب جلد ووبر ينـتفع به، ولحمه طيب، ولا سيمـا إذا جعل محسياً أو مشوياً. والـناس يتقززون من الأرنب والضباع لأنها تحيض. ويزعم الأعراب أن حيوان الوبر يشتهي سفاد العكرشة. ولكنه يعجز عنها، فإذا قدر على ولدها وثب عليه. وهذا زعم لا صحة له.

والأرنب سريـعة الوثبة حتـى إنه ليضرب المثل بسرعة وثبهـا، فقد ورد في الأثر «ما الدنيا عند الآخرة إلا كنفجة أرنب» أي أن مدتها كوثبة أرنب، ولا تكون وثبة الأرنب نفجة إلا عند قيامها من مربضها. ويقال للأرنب إنها حُذَمة لُذَمة، تسبق الجميع في الأكمة، لسرعة قفزها فوق المرتفعات كما يقال لها أيضاً «مقطعة النياط» لسرعتها، فكأنها تقطع عرقا في جسم طالبها لشـدة عدوها. ويقال درمت الأرنب تدرم درمانا، إذا تقارب خطوها، أما إذا بلغـت أقصى ما تستـطيعه من العدو، فقـد دمكت تَدمك دموكا. والأرنب إذا فقدت الماء استَغنت عـنه باستنشاق الهواء، وبل صداها بما فيه من رطوبة، ويكون ذلك عند أرانب الدو والدهـناء والصمان،

حيث يندر الماء. وهذا غير صحيح، فمثل الأرنب كمثل غيره من العاشبات الصحراوية التي يمكن أن تستغني عن شرب الماء، عند ندرته، وتكتفي بما في الأعشاب التي تأكلها من مياه. ومن خرافات العرب أنه إذا دخل أحدهم قرية خاف من جنها ومن وباء الحاضرة، لا يزول خوفه إلا إذا وقف على باب القرية ونهق عشراً كما تنهق الحمير، وعلق عليه كعب أرنب ليتقي شر الجن (الباشا ١٩٨٣: ٢١٦).

صيده. ويصاد الأرنب بالضواري والجوارح على حد سواء، وأفره الضواري على صيده السلوقي. أما الجوارح فأفرهها على صيد الأرنب الصقر والبازي والزمج والعقاب. وقالوا في المثل الشعبي «قال ياجود الصقر، قال نطيحه ارنب». والصيادون ينتفعون من جلود الأرانب وأوبارها ولحومها. ولحم الأرنب طيب، ولا سيما إذا أكل مشوياً. فهو يجمع لذة الطعم مع حسن المنظر (الباشا ١٩٨٣: ٢١٨).

ويفضل الصيادون صيد الأرانب صباحاً لأنها لا تعود إلى مرابضها إلا مع طلوع الفجر فتكون آثارها على الأرض باقية واضحة لم تعبث بها الرياح. ويستعملون في صيدها السلق أكثر من استخدامهم الصقور. وقالوا في المثل الشعبي «ضَرَتْ عَصْمَى على صيد الخرانق»، وعصمى اسم كلبة صيد أو طير والخرانق صغار الأرانب. وحديثاً استخدموا البنادق وخاصة الشوزن في صيد الأرانب وهو ممنوع طبقاً لنظام الصيد المعمول به الآن في المملكة. والصيد بالسلق أكثر متعة من غيرها. ويستعمل الشاهين والوكري بشكل خاص في المناطق ذات الشجيرات (القشع والشمع) الكثيفة حيث يساعد الطير السلق على تتبع الأرنب إذا اختفت بين الشجيرات، إذ يتابع السلق المدرب حركة الصقر أينما اتجه لأنه يرى الأرنب من أعلى. وقد يحتاج إلى إزعاجها من مكمنها حتى تتبين فتصاد وهذا هو التنفيج ولكنها بعد ذلك قد تهرب حتى يتمكن منها آخر قالوا في المثل الشعبي «حنا ننفج وغيرنا يصيد»، وتنفيج الأرنب واليربوع إخراجه من جحره ويعني أن الفائدة يجنيها الغير.

ويستطيع الصيادون المدربون بحكم خبرتهم الاستدلال من آثار الأرنب، إذا كانت منطلقة من مربضها إلى المرعى أو كانت ترعى متجولة بين الأعشاب والشجيرات أو كانت في طريقها متجهة إلى مربضها. كما يستدلون بما تتركه

الأرنب على الأرض من دمن وبول؛ فإذا كان الدمن هشاً نيئاً والبول ما زال رطباً، كانت الأرنب قريبة منهم لم تبتعد كثيراً أما إذا كان الدمن صلباً فلا يهتمون به.

ومن عادة الأرنب أن تتمرغ في التراب قبل أن تربض عندما يبدأ ضوء الفجر في الظهور، وتصفها البادية بأنها أرنب مصبح، فإذا تركت مصبحها متجهة إلى مربضها فإن أثرها في الأرض يكاد لا يبين، ولا تراه إلا عين خبير، ويقول البدو عن الأرنب إنها نقلت أو تنقل، أي لا تكاد تطأ إلا على وبر رجليها إمعاناً في التخفي. وقد يظهر أثر مخالبها على الأرض إذا كانت المخالب طويلة.

ومن عادة الأرنب ألا تربض تحت أول شجيرة تقابلها بل تختار المكان المناسب لمربضها بعد أن تتنقل بين أكثر من شجيرة. كما أنها لا تعود لمربضها الأول إلا بعد مرور عدة أيام. ويسمى مربض الأرنب دحل. وهو في الصيف يختلف عنه في الشتاء. ففي الصيف تختار الشجيرة الكثيفة الظليلة وتربض في الجهة الشمالية منها حيث تكون أكثر برودة، أما في الشتاء فتختار الشجيرة التي تتيح لها التعرض لحرارة الشمس، وتربض في الجهة الجنوبية منها أو حيث تجد الدفء أكثر.

تختار الأرانب المكان المناسب لمربضها ويسمى (دحل)

ويقترب الصيادون من مربض الأرنب في الصباح والضحى، وهذا أضمن. وقالوا في المثل الشعبي «أرنب مِجحْره»، أي في جحرها، ويعني أن الأمر مضمون الحصول عليه. وليس أمر الأرنب كذلك في العصر، لأنها في العصر تكون قد أخذت حاجتها من النوم وتيقظت وأصبحت منتبهة لأي حركة. ومتى أحست بالحركة فإنها تترك مربضها وتهرب سريعاً، وفي كل مرة يتابعها الصيادون تجري إلى مسافة أبعد من الأولى ويصفها أهل البادية في هذه الحالة بأنها شاوفت، أي رأتهم ويقولون «شاوفت الأرنب» ولا فائدة من الاستمرار في مطاردتها.

وهناك طريقتان لصيد الأرنب بغير السلق والصقور والأسلحة النارية. الطريقة الأولى أن يمسك بالأرنب في مربضها بعد أن يتعرف عليه الصيادون، فيتجه اثنان منهما معاً حيث يقوم الأول بالتحرك أمام المربض جيئة وذهاباً دون أن يحدث صوتاً وذلك لتراه الأرنب فتنشغل بمراقبته ريثما يأتيها الثاني من الخلف فيمسك بها دون أن تحس بقدومه. وإذا لم يكن هناك إلا صياد واحد فقط فإنه يضع قطعة كبيرة من القماش أو غترته أمام مربض الأرنب على بعد ١٠-١٥م لتحركها الرياح، فتنشغل الأرنب بمراقبتها ويأتيها هو من الخلف فيمسك بها دون أن تحس بقدومه.

والطريقة الثانية يتبعونها في المزارع حيث تعتاد الأرنب أن ترد المزرعة لترعى من طريق واحد، تستخدمه بشكل مستمر جيئة وذهاباً. وبعد أن يحدد الصيادون الطريق الذي تسلكه الأرنب، يحفرون في طريقها حفرة عميقة يغطونها بالأعشاب مع بعض التربة الخفيفة، وتسمى الزبيه، حتى إذا خطت فوقها الأرنب سقطت فيها ولم تستطع الخروج منها.

ومن الطرق الحديثة التي ابتكرها الصيادون، طريقة تُسهِّل عليهم مراقبة أثر الأرنب، حيث يحددون المنطقة الغنية بالأرانب، ثم يقوم أحدهم بعد صلاة الفجر بقيادة سيارته حول محيط تلك المنطقة على شكل طريق دائري. ويعود الصيادون إلى المنطقة بعد طلوع الشمس ويبحثون عن أثر الأرانب التي عبرت فوق الأثر الذي خطته السيارة، إذ إن أثر الأرنب يكون عندئذ شديد الوضوح. فما وطىء على أثر السيارة من الأرانب تتبعوه لأنه يكون ما زال قريباً متجهاً إلى مربضه.

ذكره في مأثور القول والأدب. وقد ورد ذكر الأرنب كثيراً في التراث العربي

أساطيره وأمثاله، نثره وشعره. من ذلك ما رواه شاكر (١٩٨٥: ١١٢-١١٤) عن الأرنب من القصص قال: تسابَّت الوبرة والأرنب، فقالت الوبرة: أران أرانِ (أران: تفخيم أرنب) رأس وأذنان، وسائرك أكلتان. وقالت الأرنب، ياوبر ياوبر، منكبان وصدر، وسائرك حفر نقر. ومنها قصة الأرنب فيروز مع ملك الفيلة. زعموا أن أرضاً من أراضي الفيلة تتابعت عليه السنون وأجدبت وقل ماؤها، وغارت عيونها، وذوى نبتها ويبس شجرها، فأصاب الفيلة عطش شديد. فشكون ذلك إلى ملكهن، فأرسل الملك رسله ورواده في طلب الماء في كل ناحية. فرجع إليه بعض الرسل فقال له: إني قد وجدت بمكان كذا عيناً يقال لها عين القمر كثيرة الماء. فتوجه ملك الفيلة بأصحابه إلى تلك العين، ليشرب منها هو وفيلته، وكانت العين في أرض للأرانب، فوطئن الأرانب في أجحارهن، فأهلكن منهن كثيراً. فاجتمعت الأرانب إلى ملكها فقلن له: قد علمت ما أصابنا من الفيلة؟ فقال: ليحضر كل ذي رأي رأيه. فتقدمت أرنب يقال لها فيروز، وكان الملك يعرفها بحسن الرأي والأدب، فقالت: إن رأى الملك أن يبعثني إلى الفيلة ويرسل معي أميناً ليسمع ويرى ما أقوله ويرفعه إلى الملك. فقال لها الملك: أنت أمينة ونرضى بقولك، فانطلقي إلى الفيلة، وبلغي عني ما تريدين، واعلمي أن الرسول برأيه وعقله ولينه وفضله، يخبر عن عقل المرسل، فعليك باللين والرفق والحلم والتأني، فإن الرسول هو الذي يلين الصدور إذا رفق، ويخشن الصدور إذا خَرِق.

ثم إن الأرنب انطلقت في ليلة قمراء، حتى انتهت إلى الفيلة، وكرهت أن تدنو منهن مخافة أن يطأنها بأرجلهن فيقتلنها، وإن كن غير متعمدات، فأشرفت على الجبل ونادت ملك الفيلة، وقالت له: إن القمر أرسلني إليك، والرسول غير ملوم يبلغ، وإن أغلظ في القول. قال ملك الفيلة: فما الرسالة؟ قالت: يقول لك إنه من عرف فضل قوته على الضعفاء، فاغتر في ذلك بالأقوياء قياساً لهم على الضعفاء كانت قوته وبالاً عليه، وأنت قد عرفت فضل قوتك على الدواب، فغرك ذلك فعمدت إلى العين، التي تسمى باسمي فشربت منها ورنَّقْتها، فأرسلني إليك، فأنذرك أن لا تعود إلى مثل ذلك، وإنه إن فعلت يُغشى على بصرك ويتلف نفسك، وإن كنت في شك من رسالتي، فهلم إلى

العين من ساعتك، فإنه موافيك بها. فعجب ملك الفيلة من قول الأرنب، فانطلق إلى العين مع الرسول فيروز، فلما نظر إليها رأى ضوء القمر فيها، فقالت له فيروز الرسول: خذ بخرطومك من الماء فاغسل به وجهك واسجد للقمر. فأدخل الفيل خرطومه في الماء فتحرك، فخيل إلى الفيل أن القمر ارتعد، فقال: ما شأن القمر ارتعد؟ أترينه غضب من إدخالي خرطومي في الماء؟ قالت فيروز: نعم، فسجد الفيل للقمر مرة أخرى، وتاب إليه مما صنع، وشرط ألا يعود إلى مثل ذلك، هو ولا أحد من فيلته.

ومنها قصة الأرنب والأسد. زعموا أن أسداً كان في أرض كثيرة المياه والعشب، وكان في تلك الأرض من الوحوش في سعة المياه والمرعى شيء كثير، إلا أنه لم يكن ينفعها ذلك، لخوفها من الأسد، فاجتمعت وأتت إلى الأسد فقالت له: إنك لتصيب منا الدابة بعد الجهد والتعب، وقد رأينا لك رأياً فيه صلاح لك وأمن لنا، فإن أنت أمنتنا ولم تخفنا، فلك علينا في كل يوم دابة، نرسل بها إليك في وقت غدائك. فرضي الأسد بذلك، وصالح الوحش عليه، ووفين له به.

ثم إن أرنباً أصابتها القرعة، وصارت غداء الأسد. فقالت للوحوش: إن أنتن رفقتن بي فيما لا يضركن، رجوت أن أريحكن من الأسد. فقالت الوحوش: وما الذي تكلفينا من الأمور؟ قالت تأمرن الذي ينطلق بي إلى الأسد أن يمهلني، ريثما أُبطئ عليه بعض الإبطاء. فقلن لها: ذلك لك. فانطلقت الأرنب متباطئة، حتى جاوزت الوقت الذي يتغدى فيه الأسد، ثم تقدمت إليه وحدها رويداً رويداً، وقد جاع فغضب وقام من مكانه نحوها فقال لها: من أين أقبلت؟ قالت: أنا رسول الوحوش إليك، وقد بعثتني ومعي أرنب لك، فتبعني أسد في بعض تلك الطريق، فأخذها مني وقال: أنا أولى بهذه الأرض، وما فيها من الوحش. فقلت له: إن هذا غداء الملك، أرسلت به الوحوش إليه فلا تغضبه، فسبك وشتمك فأقبلت مسرعة لأخبرك. فقال الأسد: انطلقي معي فأريني موضع هذا الأسد. فانطلقت الأرنب إلى جب فيه ماء غامر صاف، فاطلعت فيه وقالت: هذا المكان. فأطلع الأسد فرأى ظله، وظل الأرنب في الماء، فلم يشك في قولها، ووثب الأسد على ظلّه يقاتله فغرق في الجب. فانقلبت الأرنب إلى الوحوش فاعلمتهن صنيعها بالأسد.

ومما جاء عن الأرانب في الشعر قول امرئ القيس، يصف غلامه المنطلق على فرسه كالسهم:

كأن غلامي إذ علا حال متنه
على ظهر باز في السماء محلق
رأى أرنباً فانقض يهوى أمامه
إليها وجلاَّها بطرف ملقلق

وجلاَّها: نظر إليها من بعيد، والملقلق: الحديد الذي لا يفتر. وقال أبو خراش يصف صقراً حط على نشز من الأرض، وفجأة يلمح من بعيد أرنباً تتوارى بين شقوق الأرض:

ولا أمعر الساقين ظل كأنه
على محزئلات الأكام نصيل
رأى أرنباً من دونها غول أشرج
بعيد عليهن السراب يزول
فضم جناحيه ومن دون ما يرى
بلاد وحوش أمرع ومحول
توائل منه بالضراء كأنها
سفاة لها فوق التراب زليل
يقربه النهض النجيح لما يرى
ومنه بدو تارة ومثول
فأهوى لها في الجو فاختل قلبها
صيود لحبات القلوب قتول

وتصاد الأرانب بالكلاب. قال أبو نواس عن كلبه زبنور، أنه كان سريعاً يدرك الثعلب فيعقره، وينال الأرنب فيصرعه:

من ثعلب غادره عفيرا
أو أرنب جورها تجويرا

وقد يمسك الأرنب بمخالبه وتبقى فيها شريحة من لحمها. قال:

يلحق أرنبه بحد المخلب
فما تني رشيقة من أرنب

قال الشمردل اليربوعي في طردية له يخبر عن صيده الخزز:

في خرب وخزز يعلى به
لفتية صيدهم يدعى به

وقال عمرو بن قميئة مشيراً إلى قلة لبن الأرنب:

ليس بالمطعم الأرانب إذ قلـ
ـص در اللقاح في الصنبر

وقال الفرزدق في هجاء له مشيراً إلى صيد الأرنب بالعصا:

تعطى ربيعة عامر أموالها
في غير ما اجترحوا وهم كالأرنب
ترمى وتحذف بالعصيّ ومالها
من ذي المخالب فوقها من مهرب

وكان بعض الأعراب إذا دخل قرية يقف على بابها، فيُعَشِّر كما يُعَشِّر الحمار، ويعلق عليه كعب أرنب ليدفع عنه الجن والوباء. وفي ذلك يقول قائلهم:

ولا ينفع التعشير في جنب جرمة
ولا دعدع يغني ولا كعب أرنب

عشَّر الحمار: نهق عشرة أصوات في طلق واحد. وقال امرؤ القيس:

ياهند لا تنكحي بوهة
عليه عقيقته أحسبا
مرسعة بين أرساغه
به عسم يبتغي أرنبا

والمرسعة: العوذة من خرز وغيره لدفع الشر حسب اعتقادهم، والعسم: الاعوجاج، والبوهة: البومة، ويضيف قائلاً:

ليجعل في كفه كعبها
حذار المنية أن يعطبا

وقال الشماخ بن ضرار:

فما تنفك فيك عويرضات
تجر برأس عكرشة زموع
تطارد سيد صارات ويوما
على خزان قارات الجموع

عويرضات: اسم موضع، العكرشة: أنثى الأرنب، زموع: التي تمشي على زمعاتها. والزمعة: مؤخرة رجلها، صارات: اسم جبل، الخزان: ذكور الأرانب، قارات: جمع قارة: الجبل الصغير. قال أبو نواس من طردية له:

يكتال خزان الصحارى الرقطا
يلقين منه حاكماً مشتطا

الرقط: المنفوشة، المشنط: الظالم. ويقول ابن المعتز في طردية له:

فكم وكم من خزز وثاب
قد فصمته بشبا الأنياب
ومنعته جولة الذهاب
لم تدمه حفظاً على الأصلاب

وقال ذو الرمة:

لبسنا لها سرواً كأن متونها
على القوم في الهيجا متون الخرانق

وقال ذو الرمة أيضاً:

وفوقهما ساق كأن حماتها
إذا استعرضت من ظاهر الرجل خرنق

وقال المتنبي:

ألم يحذروا مسخ الذي يمسخ العدا
ويجعل أيدي الأسد أيدي الأرانب

وقال جرير:

أبني حنيفة إنني إن أهجكم
أدع اليمامة لا توازي أرنبا

ومن الأمثال التي قيلت في الأرنب «أقطف من أرنب»، و«أطعم أخاك من كلية الأرنب» يضرب للمساواة. ومن الأمثال التي زعمتها العرب على ألسنة البهائم قولهم «في بيته يؤتى الحكم». وذلك أن الأرنب التقطت تمرة، فاختلسها الثعلب فأكلها، فانطلقا يختصمان إلى الضب، فقالت الأرنب: ياأبا حسل قال «سميعاً دعوت»، قالت: أتيناك لنختصم إليك، قال «عادلاً حكيماً»، قالت: فأخرج إلينا، قال «في بيته يؤتى الحكم»،

قالت: إني وجدت تمرة، قال «حلوة فكليها»، قالت: فاختلسها الثعلب، قال «لنفسه بغى الخير»، قالت: فلطمته، قال «بحقك أخذت»، قالت: فلطمني، قال «حر انتصر لنفسه»، قالت: فاقض بيننا، قال «قد قضيت». فذهبت أقواله كلها أمثالاً.

ويرد ذكر الأرنب في الأدب الشعبي كما في قول عبدالله القضاعي موصفاً سرعة المطية:

لا روّحت لك مع سهال الحماد
فزيز بزوى خمها الذيخ والطير

فزيز: قفز، بزوى: البزوى الأرنب، خمها: أحاط بها، الذيخ: كلب الصيد، الطير: الصقر.

ومن الأمثال الشعبية التي تُضرب بالأرنب قولهم «فلان أرنب دهر، دايم سمين»، ذلك أن الأرنب في الأرض المدهرة لا تلد حيث لا تجد الطعام الكافي لها ولأولادها، فتظل سمينة لا تهزل بسبب الحمل والولادة. وقولهم «فلان أرنب ربيع، دايم ضعيف» وهو عكس الأول لأن الأرنب تلد في الربيع لتوافر العشب فتهزل وتضعف. وقولهم «عرضة أرنب» حيث يعتقد أهل البادية أن من تعترض طريقه أرنب فإنه يتبعها، فتُلهيه عن مقصده وقد يقع في ما لا تُحمد عقباه، وهو مما يتطيرون منه وعلى النقيض من ذلك مرور الثعلب أمامهم، إذ يعتقد الكثير منهم أنه خير وفأل حسن.

ومنه قولهم «فلان أرنب سكّا» أي لا أسنان له، وقولهم «نومه نوم أرنب، يرقد وعينه مفتوحه» دلالة على شدة الحرص والانتباه حتى أثناء النوم، لأن الأرنب لا تغمض عينيها أثناء نومها. وقولهم «كسّر شداده وارنبه رابضه» يضرب للأحمق العجول الذي يكسر شداده ليشتوي به الأرنب التي لا تزال رابضة في جحرها ولا يدري أيصيدها أم لا يصيدها، وقولهم «إخمارة أرنب» لمن يكمن في مكانه دون أدنى حركة فلا يشاهد، كما يقولون «فلان أسبق من أرنب خله» أو «فلان أسبق من أرنب الندى» لمن كان سريع الحركة، إذ إنّ أرنب الأرض الخلة التي لا حمض فيها تكون سريعة العدو بشكل ملحوظ. وقولهم «فلان غويلب سلق» يضرب لمن كان شديد المراوغة والختل لأن غويلب السلق هي الأرنب التي لما تلد، وهي شديدة المراوغة يصعب صيدها لمراوغتها. وقولهم «أرنب تبي العشا والعشا من جرابها» لمن يريد الحصول على شيء من آخر ولا يدري أنه سيكون محسوباً عليه، أي أنه هو

الذي سيدفع الثمن في النهاية. وقولهم «لا تِلْحِقْ الضب أرنب»، أي لا تتبع الخسارة أكبر منها. وقولهم «ليله ليل أرنب»، أي أن الأرنب تطلب المرعى ليلاً يضرب المثل لمن يسهر.

الجربوع

صفاته وسلالاته. وهو اليربوع حيوان يتدفق حيوية ونشاطاً، ويتوثب في خفة وقوة متى داهمه عدو في جحره أو أفزعه مفزع في مرعاه.

يقول المعلوف في كتابه معجم الحيوان «اليربوع فأر طويل الرجلين، قصير اليدين جداً، وله ذنب كذنب الجرذ، يرفعه صعداً في طرفه شبه النوارة. وهو ثلاثة أنواع: الشُفاري والتدمري وذو رميح» (١٣٧:١٩٣٢).

يقول الدميري في حياة الحيوان الكبرى عن اليربوع: هو ذو رميح مصغر، اليربوع ورمحه ذنبه، وقيل هو ضرب من اليرابيع، طويل الرجلين. واليربوع: بفتح الياء، ويسمى الدرص بفتح الدال وكسرها وإسكان الراء المهملتين، وبالصاد المهملة آخره. وذو الرميح: حيوان طويل الرجلين، قصير اليدين جداً، وله ذنب كذنب الجرذ يرفعه صعداً في طرفه شبه النوارة، لونه كلون الغزال.

الجربوع (اليربوع)

ويقول الكمال في كتابه الحياة الفطرية في المملكة العربية السعودية «إن عائلة الجرابيع يتبعها جنسان هما: جنس الجربوع الصغير؛ وهذه الحيوانات تنتشر في آسيا وأفريقيا وأوروبا وأمريكا الشمالية، ويطلق عليه الجربوع أو اليربوع أو فأرة الصحراء الوثابة وهي صغيرة الحجم بحجم الفئران الصغيرة. واليرابيع حيوانات تشبه الكنغر في عدم التناسب في أجسامها. فالجزء الخلفي من الجسم أكبر وأقوى من الجزء الأمامي. والأطراف الخلفية أطول من الأمامية. والرأس غليظ يحمل شوارب طويلة جداً. والعيون كبيرة. والأذنان منتصبتان. في يديه الأمامية خمسة أصابع، وفي رجليه الخلفية ثلاثة أصابع في الغالب. وفراء اليربوع كثيف ناعم، ولونه مثل لون الرمال. البطن أبيض في الناحية السفلى. في الفخذ شريط أبيض عريض. وذيل اليربوع طويل، ينتهي بخصلة طويلة من الشعر الأبيض والأسود ومشقوقة إلى شعبتين.

وتعيش الجرابيع في الصحاري الرملية ليلية، وتتغذى على الجذور والبذور والثمار والحشائش، كما تأكل الحشرات الصغيرة. وتجري الجرابيع في وثبات متلاحقة على الأطراف الخلفية. وتضع الأنثى من اثنين إلى أربعة من الصغار، بعد أن تحفر لها قناة أسطوانية قصيرة تنتهي إلى ما يشبه الوعاء، تبطنه بصوف (وبر) الجمال والأعشاب الجافة. والجرابيع من حيوانات الصحراء الأصلية، فحياتها وسلوكها وجسمها مهيأة للعيش في الصحراء. ووجدت في مكة والليث ونجران والقنفذة.

أما الجنس الثاني من أجناس الجرابيع فهو جنس الجربوع طويل الأذن، وهو ينتشر في شمال شرق المملكة في السبخات والرمال. ويتميز هذا الجربوع الأنيق بوجود خمسة أصابع في الأرجل الخلفية الطويلة جداً، وهذا يختلف عن الجربوع الصغير السابق ذكره الذي له ثلاثة أصابع فقط في الرجلين الخلفية. والأصابع الثلاثة في المنتصف هي الفعالة، بينما الخارجية أثرية ومرفوعة عن الأرض. وينتهي الذيل بخصلة مميزة في اللون، حيث إن لها ثلاثة ألوان:

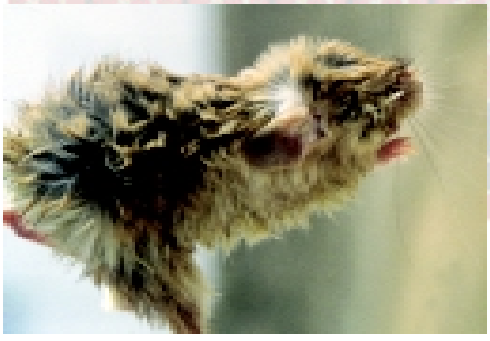

يجري الجربوع في وثبات متلاحقة على رجليه

أبيض وأسود وأبيض، والتي تكون مثل العلم على الذيل. والأذنان طويلتان وضيقتان. والأيدي الأمامية قصيرة، والشوارب متطورة. وهو حيوان ليلي أيضاً (١٩٩٠: ٦٠-٧٠).

ذكر الدميري قول أصحاب الكلام في طبائع الحيوان، قالوا إن كل دابة حشاها الله خبثاً فهي قصيرة اليدين، لأنها إذا خافت شيئاً لاذت بالصعود فلا يلحقها شيء، وهذا الحيوان يسكن بطن الأرض لتقوم رطوبتها له مقام الماء. وهو يؤثر النسيم ويكره البحار، أبداً يتخذ جحره في نشز من الأرض، ثم يحفر بيته في مهب الرياح الأربع، ويتخذ فيه كوى تسمى النافقاء والقاصعاء والرهطاء فإذا طُلب من إحدى هذه الكوى نافق، أي خرج من النافقاء وإن طُلب من النافقاء خرج من القاصعاء. وظاهر بيته تراب وباطنه حفر، وكذلك المنافق ظاهره إيمان وباطنه كفر، قال الجاحظ وغيره: واسم المنافق لم يكن في الجاهلية لمن أسر الكفر وأظهر الإيمان، ولكن الباري جل وعلا اشتق له هذا الاسم من هذا الأصل نافقاء اليربوع، لأنه لما أبطن الكفر وأظهر الإيمان ووارى بشيء عن شيء ودخل في باب الخديعة وأوهم الغير خلاف ما هو عليه أشبه في ذلك فعل اليربوع.

ويضيف الدميري قائلاً «وفي طبعه أنه يطأ في الأرض اللينة حتى لا يعرف أثر وطئه كما يفعل الأرنب. وهو يجتر ويبعر، وله كرش وأسنان وأضراس في الفك الأعلى والأسفل. قال الجاحظ والقزويني: اليربوع من نوع الفأر، وزاد القزويني: وهو من الحيوان الذي له رئيس مطاع ينقاد إليه وإذا كان فيها يكون من بينها في مكان مشرف أو على صخرة ينظر إلى الطريق من كل ناحية، فإن رأى ما يخالفه عليها صر بأسنانه وصوت، فإذا سمعته انصرفت إلى أجحرتها. فإن قصر الرئيس حتى أدركها أحد وصاد منها شيئاً اجتمعت على الرئيس فقتلته وولت غيره. وهي إذا خرجت لطلب المعاش خرج الرئيس أولاً يتشوف، فإن لم ير شيئاً يخافه صر بأسنانه وصوت إليها فتخرج». والصحيح أن هذا الكلام ينطبق على الجرذان أما اليرابيع فالمشهور عنها الفراق وعدم

اليربوع حيوان ليلي

الألفة، حيث تفترق حين تستطيع الاعتماد على نفسها، ولا تخضع لقيادة وإنما كل واحد لوحده.

وعن خواصه يقول الدميري: دم اليربوع يؤخذ فيطلى على الشعر الذي ينبت في الجفن بعد أن ينتف يذهب بإذن الله تعالى. واليربوع في الرؤيا يدل على رجل حلاف كذاب، فمن نازعه نازع إنساناً كذلك.

وورد في كتاب الحيوان للجاحظ أن «الأعراب لا يصيدون يربوعاً ولا قنفذاً ولا ورلاً من أول الليل، وكذلك كل شيء يكون عندهم من مطايا الجن، كالنعام والظباء. ... فإن قتل أعرابي قنفذاً أو ورلاً من أول الليل، أو بعض هذه المراكب، لم يأمن على فحل إبله. ومتى اعتراه شيء حكم بأنه عقوبة من قِبَلهم» (١٩٨٨، ج٦: ٤٦).

ويقول القويعي «اليربوع من الحيوانات الصغيرة للبيئة الصحراوية، إذ كثيراً ما نشاهده فيها. وقد ورد اسمه في المراجع اللغوية بأنه اليربوع. وهو دويبة نحو الفأرة، ولكن ذنبه وأذنيه أطول منها. ورجلاه أطول من يديه. والجمع يرابيع والعامة تقول جربوع، ويطلق على الذكر والأنثى. والقاصعاء والقصعة والقُصعاء إحدى جِحَرة اليربوع.»

ويضيف القويعي قائلاً «وأبناء البادية يأكلونه بعد شيّه. والجربوع سريع الحركة، ويعد بيته بطريقة ذكية أصفها كما رأيتها، إذ يجعل له مدخلاً رئيسياً واضحاً للعيان، ومن ثم يجعل له مداخل أخرى ثانوية ذات طرق متصلة ببعضها البعض. ومتى أحس بالخطر حول الباب الرئيسي فإنه يتوجه إلى أحد المخارج الأخرى، وتسمى نطاقة أو قصعة ليولي هارباً. ولكن من يعرف حيلته هذه فإنه بعد أن يعرف مخارجه الثانوية يقوم بتغطيتها بقماش خفيف كالغترة ونحوها ليقطع عليه خط الرجعة، ومن ثم يستفزه من المدخل الرئيسي. ومتى ما شعر بذلك فإنه يخرج ليقع في المصيدة، ومن ثم يسهل القبض عليه، وفي المأثور الشعبي أن الجربوع يقول عن نفسه وهو مما أحفظ:

أنا الجربوع ابن مربوع
لو ايديه
طول رجليه
ما تلحقني بنت العبية

العبية: الفرس الأصيلة التي من هذه السلالة» (١٩٨٤: ٢١٤-٢١٥).

ويقول السويداء في كتابه فصيح العامي في شمال نجد: إنهم يسمون نافقاء اليربوع بالنطاقة أو النّطّاقاء، ونطق اليربوع

خرج من نطاقته، أي نافقائـه، ويكنون بذلك عن الرجل الذي يتهرب من الأمور ويفلت مـن المواقف بقولهـم لقد نطق الرجل وتخلص من الموقف أو المهمة أي هرب وذلـك على الـتشبـيه بالـيربوع (١٩٨٧، ج٢: ٩٨٤).

ويقول السـويداء (١٩٨٣) أيضاً في كتابه نجد في الأمس الـقريب إن اليربوع هو من الحيوانات الصغيرة الحذرة، فحينما يحفر الجـحر يجعل به أكثـر من مخرج احتياطي يحفره إلى سطح الأرض وتبقى مقدار نصف سنتيمتر من قشرة الأرض، بحيث إذا داهمه عدو كسر الطبقة برأسه وهرب ولا يـعود لجـحره مـرة أخرى. وبصعوبة يهتدي المـرء إلى جحر اليربوع إلا ذوي الخبرة. فإذا وجد الصياد القاصعاء أو القصعة، وهـي فم الحجر الذي سده بتراب من داخل الجحر، وضع على فم الجحر قطعة قماش كبيرة، ثم بدأ يبحث عن المخارج الاضطرارية (النطّاقه)، ومتى عثر عليها هدمها ودكها بالرمل، وبدأ يحفر الجحر حتى يعثر علـيه. وحينما يخرجه من جحره يذبحه ويشـويه. وطعم لحمه لذيذ جداً. والـطريقة الأخرى في حالـة عثور الصياد على مخرجه (النطّاقه)، أن يمسكها بقطعة قماش ويدخل بالجحر عصا يفزعه فيها. ومتى أحس اليربوع بالحركة الداخلة عليه في جحره هرب من مخرج الطوارئ ووقع في الشـبكة الموضوعة له على المخرج وتم اصطياده.

يأكل أبناء البادية الجربوع بعد شيّه

ويحكى على لسان اليربوع أنه في يوم من الأيام دخل عليه في جحره عدوه اللدود الثعبان. فقال اليربوع: ما الذي جاء بك هنا؟ فقال الثعبان: أنا ضيفك هذه الليلة لأنام معك في جحرك. فخرج اليربوع من الجحر وقال: هو لك يابو طويلا، وهرب. ويضرب هذا القول للضيف الثقيل الذي يخشى منه.

ويضيف السويداء: واليربوع من الحيوانات الثديية التي ترضع أولادها، ويخرج أولاده بدون شعر وترضعها الأم في مهدها الذي أعدته بعناية فائقة. حيث تضع أنثى اليربوع القش الدقيق والصوف أو الوبر أو غيرها وتضع أولادها فوقها وتستمر هذه الحضانة لمدة أسبوعين. ومتى أصبح الصغار يمكن للواحد أن يعتمد على نفسه بحفر جحر له مستقل خرج من جحر أمه ولا يعود إليه مرة ثانية. ولذلك يضرب به المثل في الفرقة التي لا اجتماع بعدها. فيقال: تفرقوا فراق الجرابيع أو اليرابيع، وقال شاعر شعبي:

اما احموا الديره وعقّوا جنابه
والا تفرقنا فراق الجرابيع

ويضيف السويداء: وما شاهدت واصطدت بنفسي من اليرابيع نوعان هما اليربوع العادي السابق ذكره، وله أربع ثنايا طويلة في فكيه، وما في الفك العلوي أطول مما في الفك السفلي، وطول الثنايا العلوية حوالي سنتمتر واحد بسماكة سمة قلم الرصاص. وإذا عض بها فإنها تخترق الأصبع. وبهذه الثنايا يقرض غذاءه. وهو جميل المنظر، طيب الرائحة لين الملمس، حيث يكتسى بفرو ناعم جداً. وما في طرف ذنبه تسمى الحصنة. وهذا النوع حاد الذكاء كثير الحركة، سريع الزوغان والروغان عند الطرد، سريع الجري. أما النوع الثاني فهو نوع أكبر في الجسم قليلاً من الأول ويتميز عنه بطول أذنيه. ويسمى الرهاطي، وهو أقل ذكاء من سابقه، وأقل حذراً وأهدأ، وأقل سرعة، ويغلب عليه اللون الرملي الأحمر. وكنا نصطاده بسهولة، سواء بالحفر في جحره أو في تنفيجه، أي إخراجه من جحره بإفزاعه. والرهاطي أطول فرواً من العادي. ويقال على لسان اليربوع:

أنا الجربوع ابن المربوع
أشبع عشره مع عشره

ومن العجب أن جحر اليربوع وتفرعاته التي قد تزيد عن مترين أو ثلاثة في تعرجات على عمق يتراوح من نصف متر إلى متر، لا تجد لهذا الجحر نثيلة حول فم الجحر مثل الجرذان أو الضب، وكل ما تجده حول فم الجحر هو كمية

قليلة من التراب، لا تكاد تملأ الكف، وقد سد ببعضها فم الجحر، مع أن الجحر من الداخل فراغ مستمر إلى نهايته. ولا يعلم أين يذهب بنبث هذا الفراغ الداخلي في الجحر. ويوجد في جحر اليربوع، وهو الجزء الذي سيضع فيه أولاده، منطقة تسمى الدمانا، حيث تدفنها أنثى اليربوع خوفاً على أولادها. وكلما أرادت الوصول إليهم حفرتها وتركت النبث خلفها، وإذا فرغت من إرضاعهم حفرتها مرة ثانية وتركت النبث يسد على الصغار.

قال الفرزدق:

فاسكت فإنك قد غلبت فلم تجد
للقاصعاء مآثر الأيام

وقال أحمد بن عبد الملك بن شهيد:

وكم أمة أنجدتها وكأنها
يرابيع سدت خفية قصعاءها

ومن طرق صيده النادرة ما يعمد إليه أحد العدّائين من مطاردة الجربوع حتى إذا اقترب منه نبثه من الأرض بمشط قدمه عالياً ثم تلقفه كالكرة بيده.

ذكره في مأثور القول والأدب. ورد في الأمثال قولهم «أضل من ولد اليربوع»، وقولهم «كالمشتري القاصعاء باليربوع» يضرب للذي يدع العين ويتبع الأثر لأن القاصعاء جحر اليربوع الذي يقصع فيه، أي يدخل، والجمع قواصع. وورد في مجمع الأمثال مثل يقول «سقط في أم أدراص». والدرص: ولد اليربوع، وأم أدراص: اليربوع. يضرب لمن وقع في داهية. قال طفيل:

وما أم أدراص بليل مضلل
بأعذر من قيس إذا الليل أظلما

ومن الأمثال الشعبية التي وردت عن الجربوع قولهم «أذهن من الجربوع»، وذلك أنه يجعل جحره على هيئة أنفاق ذات مخارج مختلفة حتى يمكنه عند مهاجمته الخروج من أحدها، ولذلك قالوا في المثل «جربوع، له كم نطاقه» يضرب لمن له القدرة على التخلص من المآزق. ومثله قولهم «جربوع، يحط باب يخبر وباب ما يخبر». وقالوا «جربوع في خبار»، والخبار هي الأرض الرخوة، ولذلك يسهل عليه أن يعد جحره ذي الأنفاق، وتكثر في الرخوة الجحور حتى ليتعذر الحصول على الجربوع فيها، ويضرب هذا المثل للأمر الذي يعسر مناله. والجربوع شديد الحذر مستفز وبه ضرب المثل قالوا «جربوع، انخشه وينطق»، أي أدخل عليه ما يزعجه في جحره فيسرع الخروج من نطاقه، وهي أحد المخارج السرية التي أعدها. ومثله في العسر والتعذر ما يتضمنه المثل «مخّ جرابيع».

ولما كان الجربوع صغير الجرم لا يسمن ولا يغني من جوع قالوا «جربوع، ما يسوي تعبه»، ويضرب للأمر التافه الذي يقتضي الحصول عليه كلفة وتعباً، ومثله «جربوع، ما يسوى حطبه». ولكن حسن التدبير تجعل الصغير كبيراً والقليل كثيراً، لذلك ضرب المثل بالجربوع فقالوا «جربوعٍ بدّ على غزو» أي جربوع صغير ولكنه كفى جيشاً من الغزاة وذلك لحسن التدبير والقسمة العادلة. والقليل الخاص خير من كثير مشترك. وبهذا المعنى جاء المثل «جربوع يخصني ولا أرنب مشروكه». ومن أمثال البادية قولهم «جربوع، وخير متبوع» ويقولون ذلك عند رؤيتهم الجربوع معترضاً يتفاءلون بذلك. وحكم أكله مختلف فيه، ولكن من الناس من بالغ في حله، وهذا ما يتضمنه مفهوم المثل «قال: الجربوع يطهّر الاثم أربعين يوم، قال: عساه يطهّر روحه» ويضرب المثل في الأمر المشكوك في صلاحه.

الوبر

الوبر حيوان في حجم الأرنب أو أكبر منه قليلاً، سريع الحركات، يعيش في الجبال ذات الصخور الكبيرة مثل الجبال الجرانيتية كجبل أجا، وجبل سلمى، وجبل رمان الأحمر، كما يوجد في جبال طويق وجبال الهضب وجميع جبال المملكة. ويختبىء بين الصخور الضخمة، والمغارات. ويصاد بالشباك أو يمسك به في الكهوف قبل وصوله إلى جحره العميق. وهو حيوان جميل الشكل رشيق الحركات مثل السنجاب. يتكاثر في سنوات الخصب بأعداد كبيرة.

يقول عنه المعلوف «الوبر حيوان من ذوات الحافر في حجم الأرنب، أطحل اللون، أي بين الغبرة والسواد، قصير الذنب حتى إنه ليظهر بلا ذنب. يحرك فكه السفلي كأنه يجتر، موطنه لبنان،

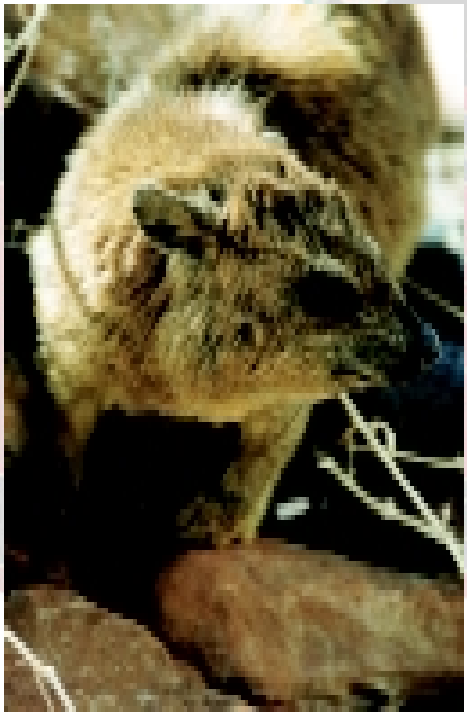

الوبر

ويعرف فيه بالطبسون، وجبال سينا، والحجاز، ويعرف فيها بالوبر، وغنم بني إسرائيل، الواحد شاة بني إسرائيل، وجبال مصر الشرقية إلى الكاب جنوباً. وذكروا من الوبر أنواعاً كثيرة وربما يكون قد انقرض في لبنان، وكان معروفاً من عهد غير بعيد» (١٩٣٢ : ١٣١).

وجاء في كتاب الحياة الفطرية في المملكة العربية السعودية (الثدييات) ما يلي: الوبر حيوان يشبه الأرنب حجماً وشكلاً، ولكن أذنيه قصيرتان، وليس له ذيل. ويبلغ طول جسمه حوالي ٤٠سم، ولون فرائه بني متفاوت. كما توجد بقعة صفراء على الظهر، وذلك لوجود غدة ظهرية في هذه المنطقة. وحجم الذكور والإناث متساو تقريباً. والوبر له عدة مميزات فريدة منها البنية القوية مع عنق قصير، وأذن قصيرة مستديرة، والأطراف قصيرة قوية. ويوجد في القدم الخلفية ثلاثة أصابع قصيرة، والأصبعان الخارجيان ملتصقان. والأصبع الداخلي أقصر وبه ظفر قوي.

تعيش الوبران في الشقوق الجبلية

والوبر، وإن كان كثير الشبه في بعض الأوصاف بالقوارض، لكنه يشترك مع الحافريات في صفات كثيرة منها تركيب الأسنان التي تشبه أسنان الخرتيت بشكل مصغر. ولكن قواطع الفك العلوي، وعددها اثنان، مقوسان دائما النمو، ويحاول الحيوان كسرهما دائماً حتى يستطيع إغلاق فمه والأكل جيداً. فإن لم تكسر فإنها تستطيل بدون حد، وهو في ذلك يشبه قواطع الفيل التي تنمو وتبرز للخارج حيث إن قواطع الفيل هي التي تستطيل وتبرز للخارج، وليست الأنياب كما هو شائع. وليس للوبر أنياب وهو في ذلك يشبه القوارض. وعدد الأصابع في الأطراف الأمامية أربعة وآثار

الإبهام. وجميع الأصابع تنتهي بحوافر صغيرة عدا الأصبع الثاني في القدم، فينتهي بمخلب معقوف.

ويعيش الوبر بين الصخور العالية الملساء، التي لا يستطيع أي حيوان آخر الوصول إليها، فهو يستطيع تسلق الصخور الملساء بسرعة وخفة. لكنه لا يستطيع المشي جيداً على الأرض، وغالباً ما يصطاده الناس، وهو يمشي على الأرض، وليس على الجبل. ويوجد الوبر في مناطق جنوب المملكة مثل نجران، وفي المنطقة الغربية في جبال الطائف، كما يوجد أيضاً في المنطقتين الوسطى والشمالية.

ومدة حمل الأنثى طويلة (حوالي سبعة شهور) تضع بعدها من واحد إلى ثلاثة من الصغار. ويتغذى الوبر على النباتات المتناثرة بين الصخور، أو في الأودية القريبة من الجبال، ويكون غذاؤه عادة من النباتات ذات المحتوى المائي العالي، إذ لا يشرب أبداً ما دام يأكل من هذه النباتات. والوبر حيوان شرس ضد أعدائه. وأحياناً يكون أليفاً إذا رباه الإنسان من الصغر (الكمال ١٩٩٠: ١١٨ و ١٢٠).

وتعيش الوبران في مجموعات تتكون كل مجموعة من ذكر بالغ قوي ومجموعة من الإناث ومن الصغار. ويتولى الذكر مسئولية المجموعة حيث يقف في نقطة مراقبة تمكنه من رؤية ما حوله أثناء رعي أفراد المجموعة. ومتى ما رأى أو أحس خطراً فإنه يصدر صوتاً خاصاً يسمى الصفير لإنذارها فتفر جميعاً إلى الجحور. ولا يبتعد الوبر عن جحره في اليوم الغائم إذ يتعذر عليه أخذ حذره من أعدائه من الطيور الجارحة، التي يعرفها بظلها على الأرض في اليوم الصحو. وفي المقابل تصدر الإناث صوتاً خاصاً مميزاً يقال له وسلكه تدعو به الصغار وبقية المجموعة للخروج إلى الرعي متى شعرن بالأمن، فتخرج للرعي. وفي فصل التزاوج (يوليو/ أغسطس) تصدر الذكور صوتاً خاصاً يسمى اللعب تدعو به الإناث للتزاوج.

ويعمد الصيادون المهرة إلى تقليد صوت الوسلكه لتخرج الوبران من

الوبر في نقطة مراقبة

تسمي البادية الوبر البالغ «الذيخ» والأنثى النجفة

جحورها فيصطادونها، كما يعمدون إلى تقليد صوت اللعب للذكور فتخرج لظنها أن هناك ذكوراً أخرى في مملكتها، وتتبع مصدر الصوت فتجد الصياد في انتظارها.

ويطلق أهل البادية على الذكر البالغ من الوبران مسمى الذيخ، وعلى الأنثى مسمى النجغه، وعلى الصغار التي لم تتم العام فسوس أو جرو. ولا يقبلون على صيد الفسوس، وكذلك الصغار التي اتمت عاماً من عمرها ويسمونها العامي لصغر أحجامها وقلة لحمها. كما أنهم لا يصطادون الذيخ في وقت التزاوج (النشيره)، لأنه يكون هزيلاً ضعيفاً من الضراب ويصفونه بأنه هلامه أو هليمه أي لا لحم فيه يصلح للأكل.

والصِّنُّ دمن الوبر وبوله، يوجد في الكهوف وفي أماكن استقرار الوبر، وله رائحة نافذة، وله فائدة طبية. ويؤخذ الصن على هيئة كتل تنقع بالماء حتى تلين مكونة عجينة غليظة، توضع على هيئة سباخة تشد أعلى الأجزاء التي بها رضوض من جسم الإنسان، سواء أكانت الرضوض في العظام أم العضلات، فتمتص هذه العجينة ما في داخل الجسم من السوائل الناتجة عن الإصابة، وتعيد للجسم تماسكه واشتداد عضلاته واعتدال الملتوي منها.

ويستخدم الصـن في علاج مرض أبو الركب الذي يصيب الغنم بوضعه لها في ماء الشرب.

وعن الـوبر تحدث الشـاعر عبـدالله القضاعـي واصفاً العنز بالوبـر الأجرب، فقال:

زولـه يـشـادي هـرة مـكـفـهـره
أو وبـرة جـربـا بـلـج خـريـب

يشادي: يشبه، مكفهره: متجهمة، لج: الفراغ الضيق بين صفحتي الجبل مظلم من الداخل، الخـريب: الفتحة في الجبل أصغر من التلعة ومعها يجري الماء إذا سال.

القنفذ

صفـاته. حيـوان بري يعيـش بقرب العمران، وهـو من الحيوانات الشوكيـة، التي يتكون شعر فروتها من أشواك، مثل النيص أو الدلدل، ينـشط ليلاً للحصول على غذائه. ويصطاد في الليالي المقمرة. وإذا اقترب منـه إنسان أو حيوان يخـشى منه انكمش إلى الداخل، وصار كأنه الكرة المحاطة بالشوك، وإذا أمن انحنـى وساح في الأرض. وهو من أكلة اللحوم، يأكل الحيات والثعـابين، حيث يمسك بالذنـب ويبدأ بقرضه ويمضغه وهو ملتف بأشواكه. ويبقى الثعـبان يصارع في الهواء ويتلوى

القنفذ: من الحيوانات الشوكية

قال المثل: أكل القنفذ للحية

ويضطرب، وكلما ضرب في القنفذ يواجه تلك الأشواك الحادة. وهكذا يستمر القنفذ على هذه الوتيرة حتى يأكل الثعبان بالكامل بالقرض والمضغ. فإذا وصل إلى رأس الثعبان، الذي يوجد به الأنياب وقنوات السم نبذها، ويكون الثعبان قد مات. ولذلك يقال في المثل الشعبي «أكل القنفذ للحيه» أو «أكل القنفذ للحضف» والحضف الثعبان.

يقول عنه المعلوف: القنفذ حيوان من آكلات الحشرات، أكبر من الجرذ قليلاً. جسمه مغطى بشوك قصير، اسمه عند بعض العامة في الشام كبّابة الشوك، أما في مصر والعراق وجزيرة العرب فاسمه القنفذ. ومن أسمائه الواردة في اللغة الأنقد والحْسكِك واللتُّنَّة والمدلج وأبو المدلج والدرام، ومن أسمائه في البادية دْعَلج. والقنفذ عند العرب كل حيوان شائك من آكلات الحشرات ومن القوارض، ولكنهم خصصوا أسماء أخرى للقوارض منها فسموا القنفذ من القوارض نيصاً وشيهماً ودلدلاً.

وجاء في كتاب الحياة الفطرية في المملكة العربية السعودية (الثدييات) عن القنفذ «وهذا الحيوان يعيش في الحبشة والسودان، كما ينتشر في معظم مناطق المملكة. حيث يوجد في كل من الطائف وجدة ومكة والمدينة والجوف والقنفذة وبريدة، وغيرها من المناطق. ويعتبر من أجمل أنواع القنافذ، ولون جسمه عادة بني داكن، أما الصدر والبطن والجانبان فلونها أبيض. وجسمه مغطى بأشواك حادة صلبة. والخطم أسود من الأمام، بعكس الشريط الأبيض الذي يمتد في الجبهة، حتى ينتهي بقاعدة الأذن الطويلة. والذيل قصير. والأذنان كبيرتان. أما الأطراف فطويلة بعض الطول تساعد الحيوان على الجري السريع في الصحراء. والقنافذ حيوانات بطيئة الحركة عموماً، تعتمد على حاستي الشم

والسمع، أما حاستا النظر والتذوق فيها فضعيفتان. وتلد الأنثى من أربعة إلى ستة من الصغار، تكون أعينها مغلقة عند الولادة، وأجسامها مغطاة بأشواك بيضاء مرنة. ويعتبر الناس القنفذ من الحيوانات النافعة لأنه يأكل الحشرات والثعابين. ويبلغ طول جسمه من ١٥ إلى ٢٥سم، وذيله من ١,٥سم إلى ٣,٥سم، وقدمه الخلفية من ٢ إلى ٣,٥سم. أما طول الأذن فيتراوح من ٣ إلى ٥سم وطول الجمجمة من ٥ إلى ٥,٥سم» (كمال ١٩٩٠: ٤١).

ويقول الدميري في حياة الحيوان الكبرى إن الدلدل هو عظيم القنافذ، والدراج: القنفذ صفة غالبة عليه، لأنه يدرج ليله كله. والقنفذ البري منه كنيته أبو سفيان وأبو الشوك، والأنثى أم دلدل، والجمع القنافذ. ويقال لها العساعس لكثرة ترددها بالليل، ويقال للقنفذ: أنقد. قالوا إن القنفذ إذا جاع يصعد الكرم منكساً، فيقطع العناقيد ويرمي بها، ثم ينزل فيأكل منها ما أطاق. فإن كان له فراخ تمرغ في الباقي ليشتبك في شوكه ويذهب به إلى أولاده، وهو لا يظهر إلا ليلاً. وهو مولع بأكل الأفاعي ولا يتألم بها، وإذا لدغته الحية أكل السعتر البري فيبرأ. وله خمسة أسنان في فيه، والبرية منها تسفد قائمة وظهر الذكر لاصق ببطن الأنثى. قال الشافعي يحل أكل القنفذ لأن العرب تستطيبه. وقد أفتى ابن عمر بإباحة أكله.

ونظراً لأن القنفذ يتكور عند الإحساس بالخطر وعند اقتراب أحد منه، فإن هناك صعوبة في ذبحه أو تذكيته. ولا يمكن ذلك إلا بإلقائه وهو مكور كالكرة في وعاء واسع به ماء، عند ذلك يفرد (يفتح) القنفذ جسمه وينقلب على ظهره ويبدو شكله كالأرنب ويكون لون جلد بطنه وصدره أحمر بلا شوك أو شعر أو وبر. ويحاول القنفذ جهده أن يخرج من الماء لأنه يختنق داخله كأي حيوان آخر. عند ذلك يُؤتى بعود ذي شعبتين (مشعاب) ويضغط ما فوق حلقه (رقبته) بهذا العود ويثبت في قاع الوعاء وهو مستلق على ظهره، ثم تُمرر سكين حادة جداً على حلقه فيذبح وكأنه أرنب. وبغير هذا لا يمكن التمكن من ذبحه بالسكين.

ومن خواص القنفذ التي يذكرها الدميري أن مرارة البري منه إذا طلي بها موضع الشعر المنتوف، لا ينبت فيه شعر أبداً. وإذا اكتحل بها أزالت البياض من العين، وإذا خلطت بشيء من الكبريت وطلي بها البهق أزالته. وإن شرب من مرارته نفع من الجذام والسل والزحير،

وإن خلطت بدهن ورد وقطر في أذن من به صمم قديم أبرأه إذا داوم عليه أياماً. ولحمه إذا أكل نفع من السل والجذام والبرص والتشنج ووجع الكلى. وإن مسح بشحمه ودمه وبراثنه المعقود عن النساء حله. وطحاله يسقى لمن به وجع الطحال بشراب العسل، فإنه يبرئه. وكليته تجفف ويسقى منها وزن درهم مسحوقاً بماء الحمص الأسود من به عسر البول، فيبرأ سريعاً. وإن قتل قنفذ وقطع رأسه بسيف لم يقتل به إنسان، وإن علق على المجنون والمصروع والمخبل أبرأه. وإن قطع طرف رجله اليمنى وهو حي وعلقت على صاحب الحمى الحارة والباردة من غير أن يعلم ما هو مربوط في خرقة كتان أبرأه. وعينه اليمنى تغلى بشيرج وتجعل في إناء نحاس، فمن اكتحل به لم يخف عليه شيء في الليل، بل يراه كأنه نهار، وشطار العيارين يفعلون ذلك. وعينه اليسرى تغلى بزيت وتوضع في قارورة فإذا أردت أن تنوم إنساناً فخذ منه بطرف الميل، وأدنه من أنفه، فإنه ينام من ساعته. وأظفار يده اليمنى يبخر بها المحموم فتذهب حماه. وطحاله إذا شوى وأكله من به وجع الطحال أبرأه والأول أسرع، وهو ما تقدم. ومرارته تعجن بسمن عتيق وتتحمل بها المرأة في قبلها، فإنها تلقي ما في جوفها. ودمه يطلى به على عضة الكلب يسكن ألمها. ولحمه المملح ينفع من داء الفيل والجذام، وهو جيد لمن يبول في فراشه. وإذا أخذ بول القنفذ وسقي بشراب لمن أعياه مرضه ثلاثة أيام أبرأه، وإن علق قلبه على من به حمى الربع أبرأه، وإذا طلي المجذوم بشحمه نفعه. ويقال إن رماده إذا أحرق كما هو وحشي به الناصور يبرأ.

أما رؤيته في المنام فيقول الدميري إنه يدل على المكر والخداع والتجسس والاحتقار والشر وضيق القلب وسرعة الغضب وقلة الرحمة، وربما يدل على فتنة يشهر فيها السلاح. وزعم القزويني في عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات. أن من القنافذ صنف يقال له الدلدل، أكبر من القنفذ وأطول جسماً، نسبته إلى القنفذ كنسبة الجاموس إلى البقر. قالوا أي موضع أراد أن يرمي إليه شوكة من شوكه يرميه كرمي النشاب ولا يخطىء شيئاً، فتمر الشوكة كمر السهم المشدود وتثبت فيه. وهذا الزعم الذي زعمه القزويني ليس صحيحاً.

ذكره في مأثور القول والأدب. ورد ذكر القنفذ كثيراً في الأدب العربي. ومما ورد عنه في الأمثال قولهم «أسمع من

دلدل»، و«أسرى من قنفذ»، و«ذهبوا إسراء قنفذ»، يعني ذهبوا ليلاً، لأن القنفذ يسري في الليل كثيراً، و«أسرى من أنقد». و«بات بليلة أنقد»، يضرب لمن سهر ليله أجمع.

ومن أمثال البادية عن القنفذ قولهم «فلان مثل القنفذ يذبح الداب ويستلقي لعليه»، وعلية طائر الرخمة المصرية من أجبن الجوارح، يزعمون أن القنفذ إذا رآها استلقى على ظهره واستسلم لها فتأكله رغم أنه يقتل الأفاعي، ويضرب المثل في الرجل الذي يصارع الأقوياء فيصرعهم، ولكن إذا أتاه الضعيف الجبان انهزم أمامه. وقالوا «فلان مثل القنفذ» ويضرب في الإنسان الذي لا يطلب عيشه إلا في الليل.

ومما قيل في القنفذ نثراً ما كتبه أبو القاسم الصاحب بن عباد في وصف قنفذ، فقال «قد أتحفتك ياسيدي بِعلْقٍ نفيس، يتعجب المتأمل من أحواله، ويحار الناظر في أوصافه، ويتبلد المعتبر في آياته. فما تعرف بديهة النظر أمن الحيوان أم من الجماد، أم هو من الشجر أم من النبات، ومن الناطق هو أم من الصامت، أم من الحار أم من البارد، أم من الرطب أم من اليابس. حتى إذا أعطى متدبره النظر أوفى حقوقه، والفحص أكمل شروطه، علم أنه كَميٌّ سلاحه في حضنه، ورامٍ سهامه في ضمنه، ومقاتل رماحه على ظهره، ومخاتل سره خلاف جهره، ومحارب حصنه من نفسه. يلقاك بأخشن من حد السيف، ويستتر بألين من وبر الخيف. حتى إذا حذر جمع أطرافه، فتحسبه رابية قتاد، أو كرة حرشف. ومتى أَمِنَ بسط أكنافه، وهو أمضى من الأجل وأرمى من بني ثعل. إن رأته الأراقم رأت حَيْنَها، أو عاينته الأساود (العظيمة من الحيات) عاينت حتفها. صعلوك ليل لا يحجم عن دامسه، وحارس ظلام لا يجبن في حنادسه. لجرمه من الضب شبه، ومن الفأر شكل ومن الورل نسب، ومن الدلدل سبب، ولم أعَمه عليك وهو أنقد. ولذلك قيل: من لم يذق غماضاً، ولك يرقد حثاثاً. بات بليلة انقد وذكره الشيهم وهو الشيظم، وأنثاه عُنجة معرفة. لا يدخل الألف واللام عليها» (شاكر ١٩٨٥: ١٩٧-١٩٨).

ومما ورد عن القنفذ في الشعر ما حكاه أبو نواس قال: بكرت إلى المربد ومعي ألواحي أطلب أعرابياً فصيحاً، فإذا في ظل دار جعفر بن سليمان أعرابي لم أسمع بشيطان أقبح منه وجهاً، ولا بإنسان أحسن منه عقلاً، وذلك في يوم

لم أر كبرده برداً. فقلت له: هلا قعدت في الشمس، فقال: الخلوة أحب إلي، فقلت مازحاً: أرأيت القنفذ إذا امتطاه الجني وعلا به في الهواء، أيحمل القنفذ الجني أم يحمل الجني القنفذ؟ قال: هذا من أكاذيب الأعراب، وقد قلت في ذلك شعراً:

فما يعجب الجنان منك عدمتهم
وفي الأسد أفراس لهم ونجائب
أتسرج يربوعا وتلجم قنفذا
لقد أعوزتهم ما علمت المراكب
فإن كانت الجنان جنت فبالحري
ولا ذنب للأقدار والله غالب
وما الناس إلا خادع ومخدع
وصاحب إسهاب وآخر كاذب

ووصف بعض الشعراء القنفذ فقال:

ما ناشب إن رامه أمر نشب
ما راش من سهم ولم يكنس عقب
مشوك أشبه شيء بالركب
في جوشن من جلده قد احتجب
حتى يحيل رأسه من الذنب
مسدد ما يرم من شيء يصب
رام كمرمي ترى فيه عجب
يعدو على الحيات حتفا وعطب

وقال عبدة بن الطيب:

شربت الأمور وغاليتها
فأولى لكم يابني الأعرج
تدبون حول ركياتكم
دبيب القنافذ في العرفج

الركيات: جمع ركية وهي البئر. العرفج: شجر سهلي وقيل هو القتاد. وقال أيضاً:

قوم إذا دمس الظلام عليهم
حدجوا قنافذ بالنميمة تمزغ

تمزغ: تمر مراً سريعاً. وقال الهمداني:

وظلت تصيح البوم منه مهابة
وبت له رعيا بليلة أنقد

أنقد: القنفذ. ويقال لمن لم يذق غمضاً بات بليلة أنقد. وقال الأخطل:

قوم أنابت إليهم كل مخزية
وكل فاحشة سبت بها مضر
مثل القنافذ هدّاجون قد بلغت
نجران أو حدثت سوآتهم هجر

وقال أبو بكر الخوارزمي يصف القنفذ:

ومدجج وسلاحه من نفسه
شاكي الدوابر أعزل الأقبال
يمسي ويصبح لم يفارق بيته
ولقد سرى عددا من الأميال
وتراه يكمن بعضه في بعضه
فتطيش عنه أسهم الأهوال
عيناه مثل النقطتين وخطمه
يحكي ثدي رضاعة الأطفال

وكأن أقلاما غرزن بظهره
مس المداد رؤوسها ببلال

النيص

حيوان من فصيلة القنافذ، غير أنه أكبر من القنفذ، ولا ينكمش مثل القنفذ، وشوكه أطول من شوك القنفذ، ويتراوح شوكه طولاً وقصراً وسماكة ودقة. فقد يصل طول شوكه إلى ٣٠سم، وسماكته حوالي ١٤مللم. وذيله عبارة عن إلية صغيرة مثل إلية الخروف. وآثاره على الأرض تشبه آثار الطفل الصغير، حيث إن براثنه لها بسطة مستوية بأطرافها الأصابع. وله من الأسنان ثنيتان كبيرتان في فكه العلوي. يعيش على الحشائش والأعشاب ويأكل الخضار، وخاصة القرع فهو مغرم به. يُصاد بالفخ والطرد ثم الضرب بالعصا أو الرمي بالبندقية. ولا يخرج لطلب غذائه إلا في الليل.

ومما ذكر عن الشيهم أو النيص قول المعلوف «النيص: شيهم، دُلْدُل ودُلْدوُل، شيظم، حيوان من القوارض، على ظهره شوك كأنه المسالّ، وهو أنواع كثيرة اسمه في السودان أبو شوك، وفي الشام والعراق وجزيرة العرب نيص، وفي بعض أنحاء الشام القنفذ، على أن القنفذ حيوان آخر من آكلات الحشرات» (١٩٣٢: ١٩٣).

«والنيص أو الشيهم، من أكبر القوارض في المملكة. وينتشر هذا الحيوان في آسيا وأفريقيا. أما في المملكة فينتشر في جنوبها وشمالها وشرقها. وهو يعيش في الجبال والهضاب ذات الأشجار، حيث يكثر وجوده في الطائف، وبلجرشي، وأبها، وخميس مشيط، وخليص، ومدائن صالح، ومنطقة حائل.

ويتميز النيص بوجود أشواك طويلة بيض وبنية غامقة اللون. والنصف الأمامي للحيوان مغطى بأشواك رفيعة تشبه الشعر السميك، وتُكوِّن على أعلى الرقبة ما يشبه العُرْف، أما نصف النيص الخلفي فكله مغطى بأشواك سميكة غليظة طويلة متجهة للخلف، وتختلف عن شكل الأشواك الأمامية. وتأخذ هذه الأشواك في جوانب الرقبة اللون الأبيض لتكون مثل الياقة. وشفة النيص العليا مشقوقة، ومخالبه قوية يستخدمها للحفر. والأطراف قصيرة وكذلك الذيل. والأذنان مستديرتان. وتوجد أشواك قصيرة على أطراف الأذن وأجزاء الجسم الأمامية والسفلى.

ويستخدم النيص أشواكه القاسية الطويلة وسيلة للدفاع عن نفسه. ويفضل

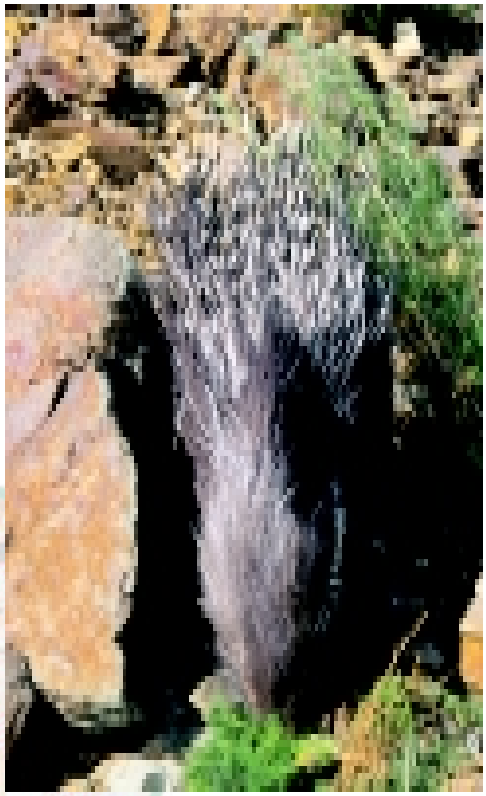

يستخدم النيص أشواكه القاسية الطويلة للدفاع عن نفسه

النيص العيش في المناطق الحارة والمعتدلة، ولا يحب الأماكن الباردة. وهو حيوان ليلي المعيشة يخرج في الليل ليتغذى على النباتات. ويبلغ وزن النيص من ١٥ إلى ٢٠كجم تقريباً. وتلد الأنثى من اثنين إلى أربعة من الصغار، مفتوحة العيون، وعلى أجسامها أشواك لينة، وهي ذات أحجام كبيرة نوعاً ما. ويعيش النيص لمدة خمسة عشر سنة» (كمال ١٩٩٠: ٦٦-٦٧).

وقد يصل حجم النيص إلى ما يقارب جسم الثعلب وأكبر منه. يصاد ويأكله بعض الناس، وهو سمين. ومكمن الشحم في إليته التي تشبه إلية الخروف إلا أنها صغيرة. ويعبر بالنيص عن الأمر الدون، فيقال هذا الأمر نيص أي تافه أو لا شيء، ويشاع أن النيص يرمي بشوكه على من يطرده. والواقع أنه غير صحيح وما يحدث هو أن النيص إذا طرده إنسان وجاء خلفه مباشرة فإذا أدركه نفش شوكه فيصيب أقدام أو سيقان من يطرده، ولذلك يجب على من يطرده أن يأخذ حذره، ولا يكون خلفه مباشرة، وإنما يطارده ويكون إلى جانبه حتى يتقي شر انتفاش شوكه. ويعتقد أهل البادية أن مقتل النيص في خشمه.

الضبع

صفاته وخواصه. من آكلة اللحوم، غير أنها في الغالب تقع على الجيف واللحوم المنتنة، وإذا مسها الجوع فإنها تلجأ إلى البحث عن العظام القديمة وتقضمها، وربما نبشت المقابر إذا شمت فيها رائحة. وهي من الحيوانات المفترسة لما تقدر عليه من الحيوانات، لكنها تميل إلى ما يفترسه غيرها من الحيوانات كالأسود والنمور والذئاب، أو ما يكون

الضبع المخطط

في المعارك من حيث القتلى أو جيف الحيوانات المقتولة. ومع هذا فهناك أناس يأكلون لحمها. والضبع صعبة الالتفات نظراً لتركيب فقرات رقبتها المتداخلة، فإذا أرادت الالتفات إلى الخلف تفتر بكامل جسمها، ولذا يضرب بها المثل فيقال «فلان مثلِ اقفات الضبعه» إذا لم يسأل عمن خلفه، والضبع بحجم الذئب أو أكبر منه قليلاً.

يقول المعلوف «ضَبُع، ذِيخ، غَثْراء: جنس من السباع أكبر من الكلب وأقوى وهي كبيرة الرأس قوية الفكين، منها ثلاثة أنواع: غثراء أو ضبع غثراء، وذيخ، وضبع رقطاء؛ وهي لا عرف لها موطنها أفريقيا، وهي المشهورة باسم الضبع الضاحكة. وزعم أنها متولدة بين الذكر من الضباع المخططة واللبؤة، واسم هذه الضبع في السودان المرفعين والمرفعيب والمرفعيل. والمخططة موطنها جزيرة العرب والشام والعراق وشمال أفريقيا، وبعضهم يسميها الضاحكة كالضبع الرقطاء» (١٩٣٢: ١٢٩).

ورد في كتاب الحيوان للجاحظ أن اسم الضبع جعار -جلدها جلد سوء- وتسمى السنة الجدبة بالضبع. والضباع تنبش القبور وذلك من فرط طلبها للحوم الناس إذا لم تجدها ظاهرة. قال صاحب المنطق إن الضباع تأكل

النمل أكلاً ذريعاً، وذلك أن الضباع تأتي قرية النمل في وقت اجتماع النمل فتلحس ذلك النمل بلسانها بشهوة شديدة وإرادة قوية. ويقولون إن الضبع إذا هلكت قام بشأن جرائها الذئب. قال الكميت:

كما خامرت في حضنها أم عامر
لذي الحبل حتى عال أوس عيالها

خامرت: استترت، ذو الحبل: الصائد. وأنشد أبو عبيدة في ذلك شعراً فسر به المعنى وهو قوله:

والذئب يغذو بنات الذيخ نافلة
بل يحسب الذئب أن النجل للذئب

يقول لكثرة ما بين الذئاب والضباع من التسافد، يظن الذئب أن أولاد الضبع أولاده. والناس يتقززون من الأرانب والضباع لمكان الحيض. ويشارك النسر الضبع في فريسته ولا يثب عليه مع معرفته بعجزه عن الطيران. وإذا دخل الرجل وجار الضبع ومعه حبل، فإن لم يسدّ ببدنه وبثوبه جميع المخارق والمنافذ ثم وصل إلى الضبع من الضياء (النور) بمقدار سم الإبرة (فتحة الإبرة) وثبت عليه فقطعته ولو كان أشد من الأسد.

وورد في لسان العرب «أن جيأل وجيألة الضبع معرفة بلا ألف ولام اسم للضبع. وفي حياة الحيوان الكبرى للدميري: والضبع معروفة ولا تقل ضبعة لأن الذكر ضبعان والجمع ضباعين مثل سرحان وسراحين والأنثى ضبعانة والجمع ضبعانات وضباع، وهذا الجمع للذكر والأنثى مثل سبع وسباع. ومن أسماء الضبعة جيل وجعار وحفصة، ومن كناها أم خنور وأم طريق وأم عامر وأم القبور وأم نوفل، والذكر أبو عامر وأبو كلدة وأبو الهنبر. والضبعة تحيض كالأرنب. تقول ضحكت الأرنب ضحكاً، أي حاضت.

قال ابن الأعرابي في قول ابن أخت تأبط شراً:

تضحك الضبع لقتلى هذيل
وترى الذئب لها يستهل

أي إن الضبع إذا أكلت لحوم الناس أو شربت دماءهم طمثت (حاضت) وقد أضحكها الدم. وقال ابن سيده: ومن عجيب أمرها أنها كالأرانب تكون سنة ذكراً وسنة أنثى فتلقح في حالة الذكورة وتلد في حال الأنوثة. ولم يذكر على حسب علمنا العلم الحديث ذلك لا في الضبع ولا في الأرنب.

قال القزويني: وفي العرب قوم يقال لهم الضبعيون، لو كان أحدهم في قفل فيه ألف وجاء الضبع لا يقصد أحد سواه. والضبع توصف بالعرج وليست

بعرجاء وإنما يتخيل ذلك الناظر، وسبب هذا التخيل لـدونة في مفاصلها وزيادة رطوبة (ليـونة) في الجانب الأيمن على الأيسر منها. وهي مولـعة بنبش القبور لكثرة شـهوتها للحوم بـني آدم. ومتى رأت إنسـاناً نائـماً حفـرت تحت رأسه وأخذت بحلقه فتقتله وتشرب دمه. وهي فاسقة لا يمـر بها حيوان من نوعهـا إلا علاها، وتـضرب العرب بها المـثل في الفساد، فإنها إذا وقعت في الغنم عاثت، ولم تكتـف بما يكتفي به الـذئب، فإذا اجتمع الذئب والضبع في الغنم سلمت لأن كل واحـد منهـما يمنـع صاحبـه، والعرب تقول في دعائها: اللـهم ضبعاً وذئباً، أي أجمعهما في الغنم لتسلم ومنه قول الشاعر:

تفـرقت غـنمـي يومـاً فقـلت لـها
يارب سلـط عليهـا الذئب والضبـعا

وتوصف الضبع بالحمق، وذلك أن صائـديها يقـولون علـى باب وجارها كلمات يصـيدونها بها، والجاحظ يرى هذا من خرافات العرب. وتلد من الذئب جرواً يسمى العسبار. والثغر للسباع وكل ذات مخلب بمنزلة الحياء للناقة.

وقال الدميـري أيضاً «الذيخ بكسر الذال ذكر الضباع الكثير الشعر، والأنثى ذيخة... والضبع أحمق الحيوان... ومن حمقه أنه يغفـل عما يجب التيقظ له. ولذلك قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: لا أكون كـالضبع تسمع الـلدم فتخـرج حتى تصاد... لأن الصـياد إذا أراد أن يصيدها رمى في جحرها بحجر فتحسبه شيئاً تصيده فتخرج لتأخذه فتصاد عند ذلك. ويقال لها وهي في جحرها: أطرقـي أم طريق، خـامري أم عامـر، أبشري بجراد، عطلى وشاة هزلى. فلا يزال يقال لهـا ذلك حتى يدخل عليهـا الصائد فيربط يديها ورجليها ثم يجرها».

ويقول شاكر فـي كتابه الحيوان في الأدب العربي: الضَّبُعُ، والضَّبْعُ: أنثى وهي ضروب من السباع، والجمع أَضْبُع وضِباع وضُبُع وضُبْع وضَبُعات، واسم الذكـر ضبعان والجـمع ضَبـاعين مثـل سرحان وسـراحين، وضِبْعات وضـباع للـذكر والأنثى مـثل سبع وسـباع وإذا اجتمعت الأنثى والذكر قيل هما ضبعان (١٩٨٥: ٢٤٣).

وعـن خواص الـضبـع مـا ذكره الدميري أن صاحب عين الخواص ذكر أن الضبع تجذب الكـلاب كما يجذب المغناطيـس الحديد، وذلك أنه إذا كان كلب على سطح في ليلة مقمرة مضيئة ووطئت الـضبع ظله في الأرض يـقع الكلـب من السطـح فتأكلـه الضبع.

وشحم الضبع إذا طلي به الجسد أمن من مضرة الكلاب. ومرارتها إذا يبست وسقيت امرأة منها قدر نصف دانق أبغضت المجامعة وذهبت منها الشهوة. وإذا اتخذ من جلد الضبع منخل ونخل به البزور (البذور) وزرعت لا يضرها الجراد. وقال عطارد بن محمد: الضبع تهرب من عنب الثعلب، فإذا طلي بعصارته الجسد أمن من مضرة الضبع. وجلد الضبع إذا أمسكه إنسان لم تنبح عليه الكلاب. ومرارتها تكتحل بها تنفع من ظلمة البصر والماء في العين وتحد البصر وتقويه. وعينها اليمنى تقلع وتنقع في الخل سبعة أيام ثم تخرج منه وتجعل تحت فص خاتم فمن لبسه لم يخف سحراً ولا عيناً ما دام لابسه، ومن كان به سحر فغسل ذلك الخاتم بماء ثم يسقى منه، فإن السحر يذهب عنه، وهو نافع للربط وغيره من أنواع السحر. ورأس الضبع إذا جعل في برج حمام كثر فيه الحمام. ولسانها من أمسكه بيده اليمنى لم تنبح عليه الكلاب ولم تؤذه، وحذاق العيارين يفعلون ذلك. ومن خاف الضباع فليأخذ بيده أصلاً من أصول العنصل فإنها تهرب منه. وإذا بخر الصبي العليل سبعة أيام بشعر قفا الضبع فإنه يبرأ. وإذا سقيت المرأة قضيب الضبعان مسحوقاً وهي لا تعلم أذهب عنها شهوة الجماع، ومن علق عليه قطعة من فرجها صار محبوباً للناس. وأسنان الضبع إذا ربطت على العضد تنفع من النسيان ووجع الأسنان. وإذا جلد بجلده مكيال وكيل به البذر أمن ذلك الزرع من سائر الآفات. ومن غريب خواصها أن من أكل دمها ذهب عنه الوسواس. ومن أمسك بيده حنظلة فرت الضباع منه. وقال حنين بن اسحق: إذا نتف الشعر الذي في باطن أجفان العين واكتحل بمرارة الضبع أو بمرارة ببغاء أو بمرارة سبع أو بمرارة عنز فإنه يذهب بإذن الله تعالى. وقضيبه يجفف ويسحق ويستف منه الرجل قدر دانقين، فإنه يهيج به شهوة الجماع ولا يمل من النساء. وقال غيره إذا شرب من مرارة الضبع نصف درهم بمثله عسلاً نفع من سائر الأعلال التي تكون في الرأس والعين، ويمنع نزول الماء في العين ويشد الانتشار. وإن خلطت المرارة بالعسل واكتحل بها جلا العين وزاد حسنها. وكلما عتق (قدم) هذا الخلط كان أجود وأحسن نفعاً. وقال ماسرجويه الاكتحال بمرارة الضبع ينفع من البَلَّة والدموع. ومن غريب خواصها وهو ما أطبق (اتفق) عليه الأطباء أن شعر الفخذ

اليمنى من ذكر الضباع الذي حول فتحته إذا نتف وأحرق وخلط في زيت مسحوقاً ودهن به من به بغا أبرأه. وهو يحدث العلة في السليم إذا كان الشعر من أنثى.

ويقول الدميري أيضاً: تدل رؤية الضبع في المنام على كشف الأسرار والدخول فيما لا يعني، وربما دلت رؤية الذكر على الرجل الخنثى المشكل، وربما دلت على عدو ظلوم مكايد مخالف. وقيل الضبع امرأة قبيحة المنظر دنيئة الأصل ساحرة عجوز. وقال أرطاميدورس: الضبع تدل على الخديعة ومن ركبها في المنام نال سلطاناً.

وقال القزويني في عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات: الضبع يقال له بالفارسية كعنار حيوان قليل العدو قبيح المنظر ينبش القبور ويخرج الجيف، والعرب تزعم أنها لا تأكل إلا لحوم الشجعان... وإن مرض الضبع وأكل لحم الكلب يبرأ. وبين الضبع والذئب مصادقة ويتولد منهما ولد يقال له السمع، وهو حيوان عجيب الشكل بين الضبع والذئب، فإن كان الذكر ذئباً يقال له العسبار وشكله عجيب أيضاً... وزعموا أن الضبع الصحيح يطبخ كما هو، تنفع مرقته ودسمه من الأوجاع الباردة والرياح. ومن خواصه يقول القزويني: لسانه من يأخذه معه... لم يتلعثم عند المحاجة ويغلب خصمه، وإذا علق على باب دار فيها عرس أو دعوة لم يقع فيها مكروه ويزداد فرحهم. نابه من اصطحبه لم ينس شيئاً. قال بلیناس: تخلط مرارة الضبع بدم العصافير ويطلي به الإنسان عينه يمنع من نزول الماء، قلبه يعلق على الصبي يبقى ذكياً ويتعلم الأشياء بسرعة. مخه يطلى به الحواجب يكون محبوباً إلى الناس، ولو طلي به كلب جن. يده اليمنى من استصحبها تقضي حوائجه عند الملوك، وتشد على عضد المرأة أو ساقها تسهل ولادتها. برثنه تعلق على شجرة لا يقربها طير ضار، قضيبه يجفف ويسحق فإن أسقيته المرأة الفاجرة تترك الفجور ولا تميل إليه. قال بلیناس: فرجها وجلد سرتها إن شد على رجل لم تنظر إليه امرأة إلا أحبته، وإن شد على امرأة لم ينظر إليها رجل إلا أحبها، وإن شد فرجها على المحموم زالت حماه. قال ابن سينا: جلده ينفع من عضة الكلب الكَلِب، فإذا فرغ من الماء يسقى في إداوة من جلد الضبع أو مغشاة بجلد الضبع. وقال بلیناس: إذا أخذت شيئاً من جلد الضبع وشددت فيها شيئاً من ورق الشيح وربطته في خرقة حرير على إنسان فإن النساء تتبعه، ويرى من ذلك أمراً عجيباً، ولو دفن في باب بيت لايدخله الكلب، وإذا شددته على رقبة الأرنب

تهرب عنه الكـلاب. وحين يسلخ الجلد إذا أخذته وطفت بـه معالم قرية وعلقته على بابها لا يصيبها آفة. بعره يخلط بدهن الآس ويدهن به الرأس فإنه ينبت به الشعر ويحسنه.

ويـقول الـكمـال «والـضبـاع مـن الحيوانات الثديـية آكلة اللحوم. ويتميز الضبع بجسم ممتـلىء ورأس كبير وعنق غليظ، وخطم قوي. والأطراف الأمامية مقوسة قليلاً وأطول من الأطراف الخلفية. لذلك يكون كـتفاه أعلى من مؤخرته. والبراثن بها أربع أصابع. والظهر محدب والذيل قصير. أما الأذن فمستعرضة عند القاعدة ومدببة قليلاً في الطرف. وأنياب الضبع غليظـة وقوية وكذلك الأضراس الأمامية. والفكان قويان لهما القدرة على كسر العظام. كما أن للضبع غدداً للرائحة في منـطقة الشرج ولـيس له عظـم في القضيب». (١٠٣:١٩٩٠)

والضباع أنـواع منها الضبع العـربي المخطط. وفراء هذه الضباع خشن طويل الشعر يغلب عليه لون رمادي أبيض مصفر تتخلله خطوط سوداء. ويوجـد في كل من جانبي الحيوان من ثمـانية إلى تسعة خطوط سوداء عمودية. أما الأرجل فبها خطوط عرضيـة وبقع سوداء. والأذنان طويلتان نوعاً ما وضيقتان، ولونهما أسود من الخارج. والذيل قصير ولونه أبيـض مصفر وأسود. ويستطيل الشعر في المنطقة الظهرية قـليلاً، ليكون ما يشبـه العرف ولونه أسود. ويـوجد في الضبع كيـس غدي فوق فتحة الشرج لإفراز الرائحة. وتستـوطن هذه الضبـاع شمال أفريـقيا وجنوب آسيا. وتوجد في المملكة العربية السعودية فـي المنطقة الغربية والشـمالية والشرقية، إضافة لذلك فقد وجد الضبع المخطـط في تـبوك والجـوف وسكـاكا والطـائف وأبهـا وجدة ومكـة المكرمـة وبلجرشي وصبيا وأبو عريش.

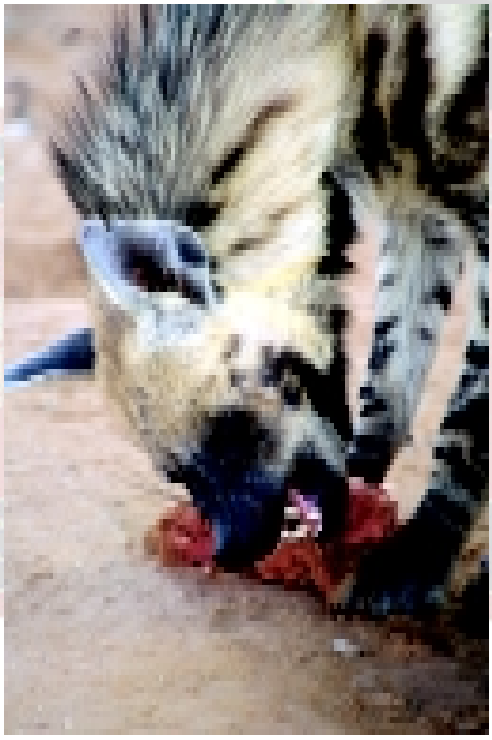

الضبع المخطط

وتعيش الضباع في الأراضي الزراعية المكشوفة القريبة من المناطق الصحراوية، كذلك يعيش بعضها في البراري والصحاري. وتخرج الضباع من جحورها ليلاً أفراداً أو جماعات صغيرة طلباً للصيد أو سعياً وراء جيفة. وقد تتجول نهاراً باحثة عن بقايا فريسة من فرائس الأسود وغيرها من المفترسات الأخرى. وغالباً ما يشاهد الضبع يحوم حول الأسد. ففي أفريقيا فإنه غالباً ما يستدل على وجود أسد إذا كان هناك ضبع. ويقول بعض العلماء إن الضباع تصطاد فرائسها بنفسها وهذا يحصل عندما يشتد بها الجوع ولم تجد أية جيفة. وتتغذى الضباع على أنواع مختلفة من الغذاء منها الزواحف والطيور وصغار الثدييات والنباتات والحشائش والخضراوات. كما أنها ترتاد أماكن الزبالة والقمامة وتنبش القبور القريبة من سطح الأرض لتأكل ما بها من جثث. والضبع قبيح المنظر والصوت وكريه الرائحة. فأجسامها غير متناسقة، كما أن أصواتها تشبه صوت إنسان يضحك ضحكاً أجش عالياً. وتطلق الضباع أصواتاً مختلفة، حتى أن بعض هذه الأصوات يشبه فعلاً صوت الإنسان والبعض يقول إنها تستطيع أن تنادي كما ينادي الإنسان. ومن عادة الضباع أيضاً الاحتيال والتظاهر بأنها ميتة عندما تتعرض لحيوانات قوية أو صيادين. فهي تتمدد كأنها جثة هامدة عندما تهاجمها الكلاب البرية المتوحشة بدلاً من أن تحاول الدفاع عن نفسها. وعندما تقترب منها الكلاب وتشم رائحتها النتنة تتركها ولا تحاول أن تأكلها لاعتقادها بأنها جيفة، وما أن تتركها حتى تنهض وتنطلق هاربة. وتلد الضبع المخططة في العادة من جرو إلى أربعة جراء مغمضة العيون لمدة عدة أيام.

ويضيف الكمال قائلاً: ومن المدهش أن بعض أهل البادية يأكلون الضباع ويقولون إن لحمها لذيذ. كما أن البعض منهم يستعملون بعض أجزاء الضبع الداخلية للعلاج. ولهم طريقة خاصة في عملية قتله. فبعد صيده يقومون بإدخال قطعة خشبية طويلة، بها مسامير باتجاه معاكس في الجهة الخلفية للضبع لإخراج الغدة التي بها الرائحة الكريهة قبل أن يستخدمها الضبع، ويتأثر طعم لحمه بعد ذلك. وبعد إخراج الغدة يقومون بذبحه ويكون لحمه في هذه الحالة خالياً من طعم هذه الغدة (١٠٦:١٩٩٠).

وقد أورد الدميري الخلاف في حكم أكل لحم الضبع. فالمحرم لعموم منع

أكل ذي الناب والمحلّل لورود النص بحل أكل لحمه. وممن أحل أكله الشافعي وأحمد وإسحاق أبو ثور وأصحاب الحديث، وقد سئل جابر بن عبدالله عن الضبع فقال إنها صيد يؤكل.

ذكره في مأثور القول والأدب. ورد من أمثال العرب قولهم «أحاديث الضبع استها»، وذلك أن الضبع تتمرغ في التراب ثم تقعي فتتغنى بما لا يفهمه أحد، فتلك أحاديث استها يضرب للمخلط في حديثه. وقالوا «أحمق من الضبع»؛ من حمقها أن يدخل الصائد وجارها فيقول لها: خامري أم عامر، فلا تتحرك حتى يشدها. وقالوا «خامري أم عامر» وأم عامر الضبع يشبه بها الأحمق، وقالوا «خامري حضاجر أتاك ما تحاذر» وحضاجر اسم للذكر والأنثى من الضباع.

ومن أمثالهم «أنبش من جيأل»، لأنها تنبش القبور وتخرج جثث الموتى من باطن الأرض إلى ظاهرها، وقالوا «كمجير أم عامر»، وقالوا «أغزل من فرعل»، والفرعل ولد الضبع والجمع الفراعل، وهذا المثل من الغزل والمراودة قال الميداني: هو من الغزل بمعنى الحزق. يقال غزل الكلب إذا تبع الغزال فإذا أدركه تفا الغزال في وجهه ففتر ودهش، ولعل الفرعل يفعل ذلك إذا تبع صيده. وقالوا «أحمق من أم الهنبر». وتنسب إليها أشياء في الحمق منها أن الضبع وجدت تودية (عود يشد على رأس خلف الناقة لئلا يرضعها ولدها) في غدير فجعلت تشرب من ماء الغدير، وتقول: حبذا طعم اللبن، واضياحاه (الِضيَاح اللبن إذا كثر ماؤه)، وتشرب حتى انشقت بطنها فماتت. وقالوا «أعيث من جعار» يقال ذلك لأن الضبع إذا وقعت في الغنم عاثت فيها ولم تكتف بما يشبعها، ولم تبق ولم تذر، وقالوا «أفسد من الضبع» من إفراط الضبع في الفساد والعيث والعبث استعارت العرب اسمها للسنة المجدبة، فيقال «أكلتنا الضبع» وقيل معنى ذلك أنهم إذا أجدبوا ضعفوا عن الانبعاث، وسقطت قواهم فعاثت فيهم الضباع وأكلتهم. وقالوا «روغي جعار وانظري أين المفر» يضرب مثلاً للجبان يفزع فيستكين ويخضع، و «لا أكون مثل الضبع تسمع اللَّدْم فتخرج حتى تصاد»، أي لا أغفل عما يجب التيقظ له. وقالوا «مجير أم عامر» يضرب مثلاً للمحسن يكافأ بالإساءة، وأصل المثل أن قوماً خرجوا للصيد في يوم حار، فطردوا ضبعاً حتى ألجؤها إلى خباء أعرابي فاقتحمته، فأجارها الأعرابي،

وحال بينها وبينهم، وجعل يطعمها ويسقيها اللبن وبقيت عنده بخير حال، فينما هو نائم إذ وثبت عليه فبقرت بطنه وشربت دمه، ومضت هاربة.

ويقول القويعي في كتابه تراث الأجداد: في الماضي القريب كان أجدادنا يصيدون الضبع وذلك لأكله من الجوع الذي لحق بهم آنذاك، إذ إن الضبع حيوان مفترس، أما رأس الضبع فإنهم لا يأكلونه حسب ما علمت من الرواة كبار السن.

ويقول السويداء (١٩٨٧م) في كتابه فصيح العامي في شمال نجد إنهم يقولون هذه مغارة الضبع أو الضبعة، وفلان أكلته الضباع ويسمون الضبعة بالعرجاء لأنها تعرج في مشيتها خلقة، ويكنون عن المرأة الأنانية التي لا يقترب من حقها ولا ينال من فضلها بالضبعة. ويقولون ضبع الرجل وتضابع في مشيته إذا كان في مشيته اهتزاز وعرج مع ثقل في الخطى (١٩٨٧، ج٢: ٥٥٦). ويقولون «فلان أو فلانة اقفات ضبعه» لأن الضبع لا يلتفت بسهولة لتكوين فقرات رقبته المتداخلة، فيأتي التفاته بافترار كامل جسمه، وإذا ذهب الضبع لا يلتفت كثيراً ويكنون بذلك عمن يذهب ولا يلتفت إلى أحد ممن خلفه ويترك الأمور تجري كما تريد. ويقول السويداء أيضاً: ويسمون ذكر الكلاب بالذيخ ويطلق كذلك على الكسول من الكلاب. ويقول المثل «هنيت ذيخ رابض له بخربه»، ويكنى به عن الكسول المتواكل من الرجال أيضاً.

ذكر الضبع يسمى ضِبعان ويطلق عليه حضاجر لسعة البطن وعظمه واللفظ معرفة، قال الحطيئة:

هلا غضبت لرجل جا
رك إذ تنبذه حضاجر

وتكني العرب بالضبع عن السنة الجدْب، وبذلك فسر بعضهم قول العباس بن مرداس:

أبا خراشة أما أنت ذا نفر
فإن قومي لم تأكلهم الضبع

ويذكر الصالحي أن الصعاليك أكثر من غيرهم من الشعراء اطلاعاً على الضباع، فإنهم توحشوا مثلها وتعودوا رؤيتها، فالأعلم الهذلي قد أبصر بضبع غليظة لها ثمانية جراء، خلف أظلاف تلك الضبع شعرات متجمعة، وفوقها دوائر كأنها الخلاخيل لونها يغاير ما حولها قال:

عشنزرة جواعرها ثمان
فويق زماعاتها خدم حجول

الخدم (جمع خدمة): لون يخالف سائر لون رجلها. وراقب الأعلم الضباع

وصغارها عن كثب، وخيل إليه أن ضبعاً لها جراء قد جرت لحمه إليهن، فأخذن يجررن لحمه كما يجر الصناع البطائن القديمة المذهبة التي تغش بها أجفان السيوف، وكانت الجراء ضخام البطون، سود الجلود، كثياب الراهب، أما آذانهن، وهن مجتمعات حول الفريسة فتشبه المغارف قال:

وتجر مجرية لها
لحمي إلى أجر حواشب
سود سحاليل كأن
ن جلودهن ثياب راهب
آذانهن إذا احتضر
ن فريسة مثل المذانب
ينزعن جلد المر نز
ع القين أخلاق المذاهب

قال الأخطل:

تدل عليه الضبع ريح تضوعت
بلا نفح كافور ولا بعبير

وقال الشنفرى الأزدي:

لا تقبروني إن قبري محرم
عليكم ولكن أبشري أم عامر

وقال أعرابي:

ومن يصنع المعروف في غير أهله
يلاقي الذي لاقى مجير أم عامر
أعد لها لما استجارت ببيته
أحاليب ألبان اللقاح الدوائر
وأسمنها حتى إذا ما تمكنت
برته بأنياب لها وأظافر

وقال العباس بن مرداس السلمي:

ولو مات منهم من جرحنا لأصبحت
ضباع بأكناف الأراك عرائسا

قال المتنبي:

لا تحسبوا من أسرتم كان ذا رمق
فلين يأكل إلا الميت الضبع

وقال المعري:

نظروا إليك وقد تقلب هامهم
نظر الضباع أصابهن دوار
أضحى يرمز حاجبيه كأنه
ذيخ له بقصيمتين وجار

وممن تكلم مع الضبع في الشعر النبطي وأجاب على لسانه تخيلا الشاعر عبدالله بن فرحان القضاعي عندما أضاع قَعوده وذهب للبحث عنه فلقي الضبع وسألها عن جمله فأجابته بهذه المحاورة اللطيفة حيث كناها بأم خميس وسألها قائلاً:

لى يام خميس عيّنتي قعودي
واخوفتي انك من حواله تدوجين
أنشِدْك لو انك كذوبٍ ربودي
وليّا عملتي عملةٍ ما تقرّين
ماني طرف، تريه كثيره جنودي
وربعي على حقّات مثلي مْعَيّين
لى صار لك من قفو سبعة فْرود
باياتهن يا شينةَ الزول ترمين

ولـيا تَـلولَـس بك قـويّ الـعضـود
عملة عـمر باللى هوى الحير وقـرين
عينت: رأيت، ربود: مماطلة، وليا: وإذا، ماني طرف: لست ضعيفاً، معيين: رافضين، فرود: جمع فرد وهو المسدس، يقـال إن حيـاء الضبـع سبع تجـعدات فصورها سبع مسدسات من باب التهكم بها بأنها ستطلق عليه النار من أحد هذه التجعدات التي صوره مسدسات، وليا: وإذا، تلـولس بـك: أمسكـك، قوى العضود: يعني الفخ الكبير الذي تصاد به السـباع، عمر: اسم رجل، الحـير: البستان، قرين: كنية رجل. فقال على لسانها يرد على نفسه:

ذرب جـوابك وانـدقـم يالـعبـودي
لا تظـلم الاجواد يـالشـايب الشـين
لا تـتـهمـن تـر مـا بالاتـهـام زود
ولا تصـدق الدعوى لما تـنظر العـين
أنا لا اكـلت الـشين مـا انا جـحود
عـادات ربعـي ياكـلـون البـعاريـن

ذرب جـوابك: هـذبـه، اندقـم: اسكت، العبودي: ترخيم اسم عبدالله، تر: ترى، أداة تنبيه بمعنى اعلم أن. تقول هذب كلامك ولا تظلمني باعتباري من الأجواد أيها الشائب القبيح ولا تتهمني لأن الاتهـام ليـس به زود ولا تصـدق الدعوى حتى ترى العين البرهان، أما أنا إذا أكلت شيـئاً لا أجحده ومن عادات ربعي وجماعتي أكل الإبل وغيرها.

الضب

صفـاته وسلالاته. أحـد أكبر أنواع الزواحف المألوفة الـواسعة الانتشار في الجزيرة العربية. يكنى أبو شهاب، ولونه الصُّحمة، وهي غبرة مشربة بسواد، وإذا سمـن اصفر صدره، وهـو بقدر فـرخ التمساح، وذنبـه كثير العقد. وهو من فصيلة الحراذين (الأجـامات) التي منها أنواع السحـالي، غير أن الضب يتـميز عليها جميعاً بكونه يصاد ويؤكل. وكان الضب فيما مضى موجوداً بوفرة في بيئات متنوعة من الجزيرة العربية، إلا أن أعداده تناقصت بشكـل ملحوظ بسبب الصيد المفرط، الذي كثيراً ما يخرج عن حدود الصيد إلى الـقتل والإبادة. ويوجد في الجزيرة العربية خمسة أنواع من الضبان، توجد منها ثلاثة أنواع في المملكة العربية السعودية، أما النوعان الآخران فيوجدان في اليمن وفي سلطنة عمان.

وأكثر أنواع الضبان شيوعاً في المملكة العربيـة السعودية، هو الضب المـصري الذي يوجد كذلك في الأردن والعراق. ويوجد النوع الثاني في المنطقة الشمالية الغربيـة من المملكة، وفـي شرق مصر

الضب من أكثر أنواع الزواحف انتشاراً في الجزيرة العربية

وفلسطين وسورية. أما النوع الثالث فيوجد في المرتفعات الغربية من المملكة واليمن.

ويقال للذكر ضب وللأنثى ضبة، والجمع ضباب وأضب وضبان. ويقال لصغيره حين يخرج من البيضة الحِسْل، ولذا يكنى الضب بأبي الحِسْل والجمع أحسال وحُسُول وحِسَلة وحِسْلان. ثم يكون مطبخاً، ثم خُضَرِماً، ثم غيدقاً، ثم إذا أسن فهو حَجْل وهو الضب المدرك وتسميه البادية الوحر والصغير الوحير. ومن أسمائه السَّحْبل والسّبَحْل، وهو الضب الضخم، والعُدامِلي والعُدْمُل، وهو الضب الضخم القديم، والعُلْب وهو الضب المسن الجاسي، والهضب وهو الضخم منه ومن غيره. ويقال لصوت الضب الفحيح والكشيش، ومثله للحية. ويقال: أرض مَضَبة وضبية، أي كثيرة الضباب، وضبب البلد، وأضب: كثرت ضبابه.

ومن معاني كلمة الضب الغضب، والحقد، والحلب بالكف، وورم في صدر البعير وخفه، وداء يأخذ في الشفة. والتضبيب تغطية الشيء. ورجل خب ضب أي مراوغ حرب. وأضب على الشيء وضب: سكت عليه، وأضب القوم: صاحوا وتكلموا. ويقال أضب يومنا، وسماء مضبة: كثيرة الضباب،

وهو البخار المتصاعد من الأرض.
وأضب القوم: نهضوا في الأمر جميعاً، وأضب السقاء: هريق ماؤه، وأضب الشعر: كثر، وضب فمه: سال ريقه، والضبة: حديدة عريضة أو خشبة يضبب بها الباب (شاكر ١٩٨٥: ٢٢٩-٢٣٠).

والضبية جلد الضب يكون وعاء للسمن والعسل وغيره، والضباب نوع من الأغلال بمثابة القيود الحديدية، توضع باليدين والرجلين. يقال رجل مضبب أي وضعت الأغلال الخشبية في يديه أو رجليه أو كليهما معاً.

ويصل طول الضب إلى أكثر من ٧٠سم ووزنه إلى أكثر من ١٣٠٠جرام. وينتشر في معظم أجزاء الجزيرة العربية عدا المناطق الجبلية والحرات والصحارى الرملية. وهو يستوطن السهول المنبسطة ذات التربة الصلبة والتكوينات الرسوبية الهشة، التي يسهل عليه حفر جحره فيها، حيث يحفر جحوراً متعرجة قد تمتد سطحياً تحت التربة، إلى ثلاثة أمتار وتصل إلى عمق مترين تحت الأرض واتساع حوالي ٣٠سم. ويستخدم في ذلك أظفاره القوية التي تتسلح بها أطرافه الخلفية (السعدون وآخرون ١٩٩٤: ١٢) ويسمى جحر الضب عرينا ولغزا. ويسمى التراب الذي يخرجه من جحره عند الحفر النثيله، ولذلك يقال «ضب على نثيلته»، أي واقف على باب جحره.

وتعيش الضباب في مجموعات، حيث لوحظ وجود عدد يتراوح من ثلاثة إلى خمسة أنفاق يقرب بعضها من البعض الآخر. وقد تتزاوج فيما بينها. أما الصغار فتنتشر أنفاقها بين أنفاق الكبار في اتجاهات مختلفة. وقد سجل ١٤١ جحراً غير مدفون من جحور الضباب في مساحة إجمالية قدرها ١٠كم مربعة في منطقة الثمامة، شمال شرقي الرياض. ويميل اتجاه أغلب الأنفاق إلى ناحية الشرق. وقد يحفر الضب جحره تحت النباتات أو تحت الصخور الناتئة، لتوفير الحماية والغذاء المناسب له. ولذلك قالوا في المثل الشعبي «ضب عقبه»، والعقبة الطريق بين جبلين ويصعب حفره ويعني صعوبة الحصول على الشيء.

والضب حيوان كَيّس. ومن كيسه لا يتخذ جحره إلا في كدية، وهي الموضع الصلب، أو في ارتفاع عن السيل والبسيط. وكذلك توجد براثنه ناقصة كليلة، لأنه يحفر في الصلابة ويعمق الحفر. وقالوا في المثل الشعبي «الفسقان يحفر جحر ضب»، وذلك لأن جحر الضب ينزل حلزونياً وهو صعب الحفر. ولما علم أنه نسّاء، أي كثير النسيان، لم

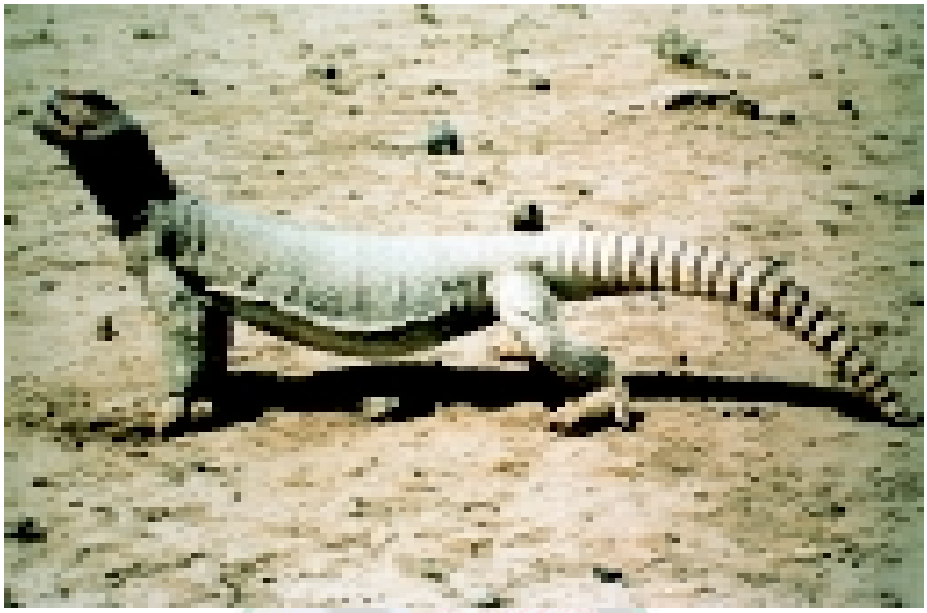

ضب رافع رأسه ومقدمة جسمه باتجاه الريح

يحفر وجاره إلا عند أكمة أو صخرة أو شجرة، ليكون متى تباعد عن جحره لطلب الطعم، أو لبعض الخوف، والتفت وراءه أحسن الهداية إلى جحره، ولأنه إذا لم يُقم عَلَما فلعله أن يلج على ظربان أو ورل فلا يكون دون أكله له شيء.

ويخرج الضب من جحره في الصباح الباكر حيث يكون لونه داكناً، ويبقى دون حراك عند فتحة الجحر متجهاً نحو الشمس، ليكتسب منها الدفء، ويرفع درجة حرارة جسمه إلى الدرجة الملائمة له (٤٠ م°). وقد يتخذ عدة أوضاع لاكتساب الحرارة من أشعة الشمس منها فرش الجسم على الأرض باتجاه الشمس أو بعكس اتجاهها، وقد يرفع رأسه ومقدمة جسمه في مواجهة الشمس، لرفع درجة حرارة الدم في منطقة الرأس فترتفع درجة حرارة كل الجسم.

وعندما يدفأ جسم الضب إلى درجة الحرارة المناسبة، فإنه يتحرك مبتعداً عن الجحر مسافة قصيرة ثم يتلفت حوله، ويواصل سيره، باحثاً عن النباتات المفضلة لديه. ويقوم بقضم الأجزاء اللينة منها، مثل الأزهار والبراعم والجذور الغضة والأوراق، ويبتلعها. ويتوقف عن التغذية لفترة قصيرة، يتلفت حوله خلالها ثم يعاود التغذية.

يقال إن الضب إذا فارق جحره عجز عن الاهتداء إليه

ويبدأ الضب في التغذي على النباتات القريبة من جحره، الأقرب فالأقرب، ثم يبتعد قليلاً إلى النباتات الأبعد وهكذا. ويفضل الضب من الأنواع النباتية العرفج، الرخامى، العلندة والعكرش والحوذان والخزامى وخف الجمل والثمام والسعدان والنقد. ويستظل الضب تحت ظل النباتات في فترة الظهيرة، ثم يعود إلى جحره ليخرج منه مرة أخرى بعد بضع ساعات قليلة، في وقت العصر ليعاود التغذية، ولكن لفترة قصيرة يعود بعدها إلى جحره لقضاء الليل.

وتتغذى الضباب بشراهة خلال فصل الخريف لتجمع أكبر كمية من الشحوم، تختزنها في جسمها استعداداً لقضاء فترة البيات الشتوي، التي يسكن خلالها عن الحركة ويمتنع عن التغذية، وتستغرق فصل الشتاء كله، شأنه في ذلك شأن الأنواع الأخرى المماثلة من الحيوانات، ذوات درجة الحرارة المتغيرة، التي تكتسب درجة حرارة جسمها من البيئة المحيطة، ويطلق عليها أحياناً ذوات الدم البارد. ويعتقد بعض أهل البادية خطأً أن الضب يختزن مؤونته في جحره أثناء الصيف ليستخدمها خلال فترة الكمون الشتوي وهو غير صحيح لأنه لا يأكل خلال تلك الفترة على الإطلاق. بل ينطبق عليه قولهم في المثل الشعبي «ضب ياكل من

جعوره»، وذلك في فترة السبات الشتوي ويقصد الإنسان إذا اكتفى بما عنده.

ورغم أن الضب نباتي التغذية في الأصل، إلا أنه عند الضرورة قد يتغذى على مفصليات الأرجل مثل الجراد والخنافس وغيرها. وله قدرة عظيمة على تحمل العطش والصبر على الماء، وكذلك تحمل درجات الحرارة العالية. ويختفي الضب عادة أثناء اشتداد درجة الحرارة في الهجير، وكذلك عند تعرضه لخطر محتمل. وإذا لم يتمكن الضب من الاهتداء إلى جحره أثناء اشتداد الحرارة، فقد يبقى منبطحاً على الأرض دون حراك مستسلماً لارتفاع درجة حرارة جسمه، مما قد يؤدي إلى نفوقه حيث تكون درجة حرارة سطح التربة أعلى كثيراً من درجة حرارة الجو المحيط (قد تزيد درجة حرارة التربة عن ٦٥ْم عندما تكون درجة حرارة الجو المحيط ٥٢ْم).

ويتميز الضب بأنه مثلث الرأس، وهي صفة كل أفراد العائلة التي ينتمي إليها، وله فكّان قويان بهما أسنان حادة، تنمو من عظم الفك، وله لسان يستخدمه في حسك الأوراق والأزهار أثناء التغذية. وجسمه عريض مبطط، تكسوه حراشيف ناعمة، لذا قالوا في المثل «أقل من شعر الضب»، لأن الضب لا يوجد على جلده شعر. وله ذيل طويل سميك، توجد عليه حلقات من الأشواك الحادة ويسمى عكرة، وجاء في المثل الشعبي «ضب محرش عكرته»، والعكرة ذنب الضب وإذا حرك منها جزع ويضرب المثل لمن يحترش من الناس. ومثله «ضب ولمست عكرته». ولون جسمه بني فاتح يتغير إلى الأبيض المصفر عند اشتداد حرارة الشمس لتقل درجة امتصاصه للإشعاع الشمسي. ويقاتل الضب الحية ويضربها بذنبه، وهو أخشن من السَّفَن، وهو سلاحه. وقد أُعطي فيه من القوة مثل ما أعطيت العقاب في أصابعها، فلربما قطعها بضربة منه أو قتلها أو قدَّها، وذلك إذا كان الضب ذيَّالاً مذنباً، أي طويل الذيل وقد جعل ذنبه من أدنى الجحر إلى الخارج، ورأسه في داخله، أما إذا كان مرائسا، أي جاعلاً رأسه إلى خارج الجحر وذنبه إلى داخله، قتلته الحية. ويبدو أن هذا غير صحيح.

يقتل الضب الحية

وتزاوج الضبان في فصل الربيع، خلال شهري إبريل ومايو، وتضع الإناث البيض خلال شهر يونيو وأوائل شهر يوليو، حيث يصل عدد البيض إلى أكثر من ثلاثين بيضة. وحجم البيض كبير نسبياً، وهو أصغر من بيض الحمام، أصفر اللون، ليس له قشرة خارجية. ويفقس البيض بعد شهرين، وتخرج الحسول ذات اللون البني الداكن، التي يتراوح وزن الواحد منها بين ٢٥ و ٣٠جم، وتصل إلى سن النضوج الجنسي، ويمكنها التزاوج عندما يصل وزنها إلى نحو نصف كيلوجرام (الجهني ١٩٩٦: ١٢-١٣).

وهناك الكثير من أنواع المفترسات التي تعتبر من الأعداء الطبيعية للضب، منها الطيور الجارحة والثعالب والظربان الذي ذكر الجاحظ أنه يصيد الضب في جوف جحره حتى يغتصبه لنفسه، وذلك أنه يعلم أنه أنتن خلق الله فسوة، فإذا دخل عليه جحره سد خصاصته وفروجه بيديه، وهو في ذلك مستدبر له، فلا يفسو عليه ثلاث مرات حتى يعطى بيده فيأكله كيف شاء. ولكن الإنسان، في الوقت الحاضر، يعتبر بحق هو المسئول الأول عن استهلاك أعداد من الضبان، تفوق كثيراً مجموع ما تستهلكه جميع أنواع المفترسات التي يعتبر الضب غذاءً طبيعياً لها. ويستخدم الإنسان لذلك طرقاً كثيرة تفتقر إلى الإنسانية، وتقضي على كثير من الضبان.

جاء في الحيوان في صفة الضب «ومن صفات الضب، طول الذماء وهو بقية النفس وشدة انعقاد الحياة والروح بعد الذبح وهشم الرأس، والطعن الجائف النافذ، حتى يكون في ذلك أعجب من الخنزير ومن الكلب ومن الخنفساء، وهذه الأشياء التي تفردت بطول الذماء. ثم شارك الضب الوزغة والحية، فإن الحية تقطع من ثلث جسمها فتعيش إن سلمت من الذر. فجمع الضب الخصلتين جميعاً. ... ومن أعاجيبه طول العمر، وذلك مشهور في الأشعار والأخبار، ومضروب به المثل. فشارك الحيات في هذه الفضيلة، وشارك الأفعى الرملية والصخرية في أنها لا تموت حتف أنفها، وليس إلا أن تقتل أو تصطاد» (الجاحظ ١٩٨٨، ج٦: ٥٤). ومنه قولهم «إنه لأحيا من ضب»، وهذا الذي يذكره الجاحظ كله زعم باطل فلا يوجد مخلوق لا يموت حتف أنفه. ويشارك الضب الحية في طول العمر، ثم الاكتفاء بالنسيم والتعيش ببرد الهواء، وذلك عند الهرم وفناء الرطوبات ونقص الحرارات. وهذه

كلها عجب، وما ذكره الجاحظ هنا هو من التوهم الذي لا أصل له. ومن أعاجيبه أن له أيرين، وللضبة حرين، وهذا شيء لا يعرف إلا لهما (١٩٨٨، ج٦: ٥٦-٥٧). ويسمى أير الضب نزكا، ويتكون البيض داخل بطن الأنثى متراصاً في صفين: صف في الجهة اليمنى والآخر في الجهة اليسرى.

ويضيف الجاحظ «وزعمت العرب أنه يعد العقرب في جحره، فإذا سمع صوت الحرش استثفرها. فألصقها بأصل عجب الذنب من تحت وضم عليها، فإذا أدخل الحارش يده ليقبض على أصل ذنبه لسعته العقرب. وقال علماؤهم بل يهيئ العقارب في جحره لتلسع المحترش إذا أدخل يده. وقال أبو المنجد بن روشيد رأيت الضب أخور دابة في الأرض على الحر، تراه أبداً في شهر ناجر بباب جحره، متدخلاً يخاف أن يقبض قابض بذنبه، فربما أتاه الجاهل ليستخرجه، وقد أتى بعقرب فوضعها تحت ذنبه بينه وبين الأرض، يحبسها بعجب الذنب، فإذا قبض الجاهل على أصل ذنبه لسعته فشغل بنفسه. فأما ذو المعرفة فإن معه عويداً يحركه هناك، فإذا زالت العقرب قبض عليه. وقال أبو الوجيه: كذب والله من زعم أن الضبة تستثفر عقرباً. ولكن العقارب مسالمة للضباب، لأنها لا تعرض لبيضها وفراخها. والضب يأكل الجراد ولا يأكل العقارب. ويعجب الضب بالتمر» (١٩٨٨، ج٦: ٥٨-٥٩, ٦٢).

ويقول الجاحظ «والضب إذا خدع في جحره وصف عند ذلك بالخبث والمكر ... . ولذلك شبهوا الحقد الكامن في القلب الذي يسري ضرره وتدب عقاربه بالضب، فسموا ذلك الحقد ضباً... . وضرب المثل بنفخ الضب وتوثبه. ... والضب يوصف بشدة الكبر ولا سيما إذا أخصب وأمن. ...ولا يكون ذلك إلا في موضع بعيد من الناس. فإذا أمن وخلا له جوه وأخصب، نفخ وكش نحو كل شيء يريده» (١٩٨٨، ج٦: ٦٥-٦٨).

ويضيف الجاحظ قائلاً «زعم عمرو بن مسافر أن الضبة تبيض ستين بيضة، فإذا كان ذلك سدت عليهن باب الجحر، ثم تدعهن أربعين يوماً، فيتفقس البيض ويظهر ما فيه، فتحفر عنهن عند ذلك، فإذا كشفت عنهن أحضرن، وأحضرت في أثرهن تأكلهن، فيحفر المنفلت منها لنفسه جحراً ويرعى من البقل.» (وهذا غير صحيح). وقال: وبيض الضب شبيه ببيض الحمام. وفرخه حين يخرج يخرج كيساً خبيثاً مطيقاً للكسب» (١٩٨٨، ج٦: ١١٧-١١٨). «والضبة يكون

بيضها في بطنها وهو مكنها، ويكون بيضها متسقاً، فإذا أرادت أن تبيضه حفرت في الأرض أدحيّا مثل أدحيّ النعامة، ثم ترمي بمكنها في ذلك الأدحيّ (ثمانين مكنة)، تدفنه بالتراب، وتدعه أربعين يوماً، ثم تجيء بعد الأربعين فتبحث عن مكنها فإذا حسلة يتعادين منها، فتأكل ما قدرت عليه. ولو قدرت على جميعهن لأكلتهن. (وقد سبق القول بعدم صحة ذلك)، ومكنها جلد لين فإذا يبست فهي جلد، فإذا شويتها أو طبختها وجدت لها محاً كمح بيض الدجاج» (١٩٨٨، ج٦: ١٢٠-١٢١).

ويزعم القزويني أن الضبة إذا لسعتها العقرب أكلت من حشيشة تسمى آذان الحمار، يزول عنها اللسع، وإذا جاعت تتعرض للنسيم وتعيش به ويكون ذلك غذاءها. قالوا إذا خرج ضب من بين رجلي الإنسان لا يقدر على مباشرة النساء، وقيل ينتفخ ذلك الإنسان. وإذا سقى إنسان عينه بماء السذاب يقطع عنه مادة المني وينقصه. وقلبه من أكله يذهب عنه الحزن والخفقان. وطحاله من أكله يمنع عنه وجع الطحال ويأمن منه أبداً. ودمه يطلى به الكلف مع البورق يزيله ويصفي لون الوجه. ولحمه ينفع من الأمراض المزمنة مقلياً ويزيد في ضوء البصر ويقوي البدن ويعين على الباءة. وشحمه يذاب ويطلى به القضيب يقوي شهوة الباءة، ومن أكل منه لا يعطش زماناً طويلاً. وخصيته من استصحبها تحبه الخدم محبة شديدة. وكعبه يشد على وجه الفرس لا يسبقه شيء من الخيل عند المسابقة. وجلده يتخذ على نصال سيف يشجع صاحبه ويتخذ ظرفاً للعسل، من لعق منه تهيج شهوته، ويورث إنعاظاً شديداً. وبعره ينفع من البرص والكلف والحزازة طلاء، ومن بياض العين اكتحالاً ومن نزول الماء أيضاً، والأعراب يداوون به وجع الظهر.

صيده. كان الأسلاف من أهل البادية يصطادون الضباب في وقت الشدة للاقتيات وليس للتسلية، وبالقدر الذي يفي باحتياجهم فقط. وفي المثل الشعبي «يالله ضب والا سحلي». أما في وقتنا هذا فقد تحول صيد الضبان إلى تسلية ولهو وقضاء وقت ثم تجارة رابحة، إذ تباع الضبان بالمئات في الأسواق الشعبية، مما ينذر بفناء النوع وانقراضه من صحاري الجزيرة العربية، ما لم تتخذ الإجراءات النظامية الكفيلة بترشيد صيده ومنع الاتجار به، ومنع صيده في موسم تكاثره.

وقد تعددت طرق صيد الضب. فمنها حفر جحره الذي يتصف بالعمق

والطول، وهي طريقة متعبة. ولذلك قالوا في المثل الشعبي «ضب ما يسوى حفره». والطريقة الثانية تتبع في موسم هطول الأمطار وتوافر المياه بالغدران، حيث يجر ماء الغدير إلى جحر الضب ليغرقه. فمتى أحس الضب بالماء ظنه السيل وخرج فيمسكه الصياد الذي يتربص به ويذبحه.

ومن أكثر الطرق المعاصرة المستخدمة في صيد الضب إيصال عادم السيارة إلى فتحة جحر الضب، وملء الجحر بغازات العادم الخانقة. فلا يلبث الضب عندما يحس بالاختناق أن يخرج ليقع في يد صائده. وهناك من يستخدم الغاز من اسطوانات الغاز بدلاً عن عادم السيارات. وهناك طريقة أخرى تتبع لاصطياد الضب المكانس في أوائل فصل الصيف، حيث يبقى الضب قريباً من فم الجحر للابتراد، وذيله ملوي متجهاً إلى الخارج، ويكون قريباً من متناول اليد. ويقال له «ضب مكانس». فيأتيه الصياد محترساً من أن يحدث أي صوت ليجده نائماً، فيطعنه بآله حادة مذببة يسمونها المكناس، ويجذبه إلى الخارج بيده الأخرى، أو يظل ضاغطاً عليه بالمكناس، ويحفر الجحر حوله حتى يصل إليه فيأخذه.

ومن الطرق الحديثة لصيد الضب ليلاً أن يحمل الصياد قليلاً من الماء مع كشاف قوي للإنارة. ويأتي جحر الضب بهدوء دون أن يسمع له صوت ويصب الماء قليلاً قليلاً في الجحر مع إضاءة الكشاف القوي على هيئة ومضات سريعة تشبه البرق، فيظن الضب أنه المطر والبرق فيخرج مستدبراً جحره فيمسكه الصياد من عكرته وذنبه ويأخذه.

ومن الغباء المشهور عن الضب أنه يأتي جحره حتى لو رأى الصياد عنده. وبعض الصيادين إذا وجد الضب خارج جحره، دفن الجحر وجلس عنده حتى يعود الضب فيطرده ويصيده. ويبدأ موسم صيد الضبان مع بداية دخول فصل الصيف، خلال موسم هطول الأمطار، وافتراش الأرض بالأعشاب الخضر، بعد أن ينهي الضب سباته الشتوي، ويرعى ويتغذى ويكثر فيه الشحم (الزهم) واللحم، وتكبر سلايقه التي يفضلها آكلوه، إلى جانب عكرته التي تعتبر أحسن ما فيه. ويعتقد بعض أهل البادية، غير مصيبين في اعتقادهم، أن أكل لحم الضب يكسب الجسم مناعة ضد الأمراض، وخاصة أمراض العصر، مثل داء السكري وارتفاع ضغط الدم والتهاب المفاصل والروماتيزم. وأهم من ذلك لديهم أنه مهيج للباءة مقوٍّ للجنس.

وفي لقاء صحفي أجراه السهلي مع مجموعة من الشباب، الذين يزاولون رياضة صيد الضبان (جريدة الجزيرة، العدد ٧١٥٥ للعام ١٤١٢هـ)، قال أحدهم إنه يزاول صيد الضبان منذ أكثر من عشرين عاماً. وبعد أن منعت وزارة الداخلية استخدام بنادق الشوزن في الصيد لجأ، مع زملائه، إلى استخدام طرق أخرى لصيد الضبان، منها المطَّاره التي تتسع لحوالي ٥٠٠ لتر من الماء. يحملون المطارة في صندوق شاحنتهم (الونيت)، ويستخدمون الخرطوم (اللَّيْ) الذي يتصل به وطوله نحو ٤ أمتار وقطره نصف بوصة. وعندما يجدون جحر الضب يتوقفون عنده ويبدأون في صب الماء داخل الجحر لحوالي ٥ دقائق. ثم يوقف الصياد صب الماء بثني الليّ بين أصابعه ويصغى فإذا سمع صوت الحيوان داخل الجحر واصل صب الماء حتى يخرج، وإذا لم يسمع صوته تركه وبحث عن جحر آخر. وعندما يقترب الضب من باب الجحر يسرع الصياد بدفن الجحر خلفه وهدمه حتى لا يتمكن من العودة ويضطر إلى الخروج من الجحر.

ويؤكد هؤلاء الصيادون من الشباب أنهم يصيدون ما لا يقل عن ٣٠ ضبا باستخدام المياه الموجودة في مطارة واحدة. بل إن بعض الصيادين يقول إنه يصيد ٥٠ ضباً بالمطارة الواحدة، في ليلة واحدة. ويحترس الصيادون إذا اضطروا إلى إدخال إيديهم إلى فوهة الجحر للبحث عن الضب المتأخر في الخروج، حيث كثيراً ما يجدون الثعابين والعقارب في جحور الضبان. ويمر الصيادون أثناء النهار لتحديد أماكن جحور الضباب، حيث يضعون على كل منها عاكساً مثل «عيون القطط»، التي يضعها رجال المرور في الشوارع لتنظيم السير. ثم يعودون في الليل ومعهم معدات صيدهم ومصباح، فيهتدون إلى جحور الضبان بسهولة على ضوء العواكس التي وضعوها في النهار، ومن ثم يواصلون مهمتهم في صيد الضبان بهمة ونشاط.

ويقول بعض الصيادين إنه يصيد الضب بالشرك، وهو حبل معقود على شكل أنشوطة يدخله إلى فوهة الجحر ويربطه بحجر ثقيل موجود خارج الجحر. وعند خروج الضب من الجحر فإنه يدخل في الأنشوطة التي سرعان ما تنعقد عليه عندما يحاول الفكاك منها. عندئذ يتقدم الصياد فيسحب الحبل وفيه الضب. وتستغرق هذه العملية، رغم سهولتها، زمناً طويلا. إذ يقوم الصيادون بوضع شراكهم في الجحور عصراً

ويتركونها ثم يعودون صباح اليوم التالي (حوالي الساعة العاشرة صباحاً)، ويتتبعون أماكن شراكهم ويجمعون صيدهم.

ويقول بعضهم إنه يجمع بهذه الطريقة في اليوم عشرين ضباً، وإنه يزاول هذه الهواية يوم الخميس من كل أسبوع. وأحياناً يجد هؤلاء الصيادون أن شراكهم قد أمسكت بالورل بدلاً من الضب. والورل من أعداء الضب يهاجم جحره ويفترسه.

ويقول بعض الصيادين إنهم يصيدون الضبان بمطاردتها، وذلك في الأماكن المشهورة بكثرة ضبانها مثل منطقة رماح. ويقوم هؤلاء الصيادون بمطاردة الضب على أقدامهم أو بالسيارة حتى يقبضوا عليه. ويساعدهم في ذلك وجود الرمال، حيث يتوه الضب عن جحره في الرمال وتسهل مطاردته واللحاق به. ويقول هؤلاء الصيادون إن حصيلتهم اليومية من الضبان التي يصطادونها بهذه الطريقة لا تقل عن ١٠٠ ضب يبيعونها في الأسواق الشعبية، مثل سوق الحمام في الديرة بالرياض.

ويتلذذ كثير من هؤلاء الصيادين بأكل الضبان. ويشرح أحدهم كيفية إعداد الضب للأكل فيقول: نقوم بذبح الضب ثم نفتح بطنه ونخرج أمعاءه، ثم نخرج السلايق من البطن، وهي شحم الضب ويسميها أهل البادية الزهم. بعدها نقوم بقليها حتى تصبح سمناً يؤكل مع التمر، والباقي نضعه على الكبسة قبل أن تصبح جاهزة بخمس دقائق. أما باقي اللحم فيجهز بوضع الضب داخل إناء وغليه بالماء لمرة واحدة، ثم إزالة الحراشف من الجسم والذيل عن طريق السكين. وبعد ذلك ترمى الأطراف والرأس ونقوم بتقطيع الباقي قطعاً صغيرة، ثم تغسل عدة مرات حتى تنظف، ثم توضع في الإناء مرة ثانية، ونتركه لمدة ساعة، ثم يضاف له الأرز والبهارات والطماطم والبصل ويترك حتى ينضج. ويؤكد المتحدث أن كبسة الضب لذيذة جدا.

وهناك بعض المقيمين من الجنسية الأسيوية، لا سيما التايلنديين، يمارسون أيضاً صيد الضب في أيام عطلتهم الأسبوعية، مستخدمين في ذلك الشراك. يذهبون بعد العصر، حيث يضعون الشراك في الجحور، ويعودون الساعة العاشرة من صباح اليوم التالي لجمع الضباب التي وقعت في شراكهم. ويقول أحدهم إنه يصيد كل يوم جمعة عدداً يتراوح بين عشرة وعشرين ضباً، يستهلك منها هو وزملاؤه خمسة ضبان في

غدائهم، ثم يبيعون العدد المتبقي، بسعر ٢٠ ريالاً للضب الواحد، أي أنها تسلية وقضاء للوقت، وفي الوقت نفسه عملية مربحة توفر الغذاء والمال. ويذكر هذا التايلندي أن لديهم في بلادهم زاحفاً يشبه الضب يأكلونه ويستخدمون شحمه لعلاج الروماتيزم والتهاب البروستاتا.

وهناك بعض الصيادين لا يستسيغون لحم الضب، بل يأنفون من أكله، على الرغم من كونهم من أهل البادية، الذين يعيشون في بيوت الشعر، ويتعايشون مع الإبل والغنم والضباب وغيرها من حيوانات الصحارى. هؤلاء يصطادونها للتجارة وكسب الأموال، حيث يبيعون الضباب التي يمسكون بها في السوق الشعبي بسعر يتراوح بين ١٠ و ٢٠ ريالاً للضب الواحد. ويذكر هؤلاء الصيادون أن ضب الجبال أرخص سعراً لأنه غير مرغوب. ويذكرون أنه في وقت الكنّه، أحد منازل النجوم، يجرى صيد الضب المكانس أو المذانب، حيث يذانب الضب في هذا الوقت طلباً للبراد. كما أنه في وقت الكنّه يصير بيض الضب صالحاً للأكل، حيث يقوم محبو أكل الضب بوضع البيض على الأرز قبل نضجه، وهي من الأكلات المحببة لديهم.

والواقع أن الضب الآن في المملكة العربية السعودية يعاني معاناة شديدة من عمليات الصيد الجائر التي تودي بأعداد هائلة منه. إلى جانب أن سرعة امتداد التنمية العمرانية والزراعية في المواطن الطبيعية التي يعيش فيها الضب تؤدي إلى فقدان هذه المواطن الصالحة لحياة الضب وتجعله يهاجر منها بحثاً عن مناطق أخرى، مما يساهم بشكل آخر في إبادة أعداد كبيرة من الضبان. وقد ارتفعت في الآونة الأخيرة أصوات كثيرة من الواعين بأهمية المحافظة على هذه الأنواع الفطرية الملائمة للبيئة الصحراوية المتطرفة في الجزيرة العربية، وضرورة الإبقاء عليها لتؤدي وظائفها التي خلقها الله لأدائها. تنادي هذه الأصوات بضرورة الحد من الصيد العشوائي للضبان وترشيده ومنعه في مواسم تكاثرها، ومنع الإتجار بها وأن يقتصر الصيد على الاستهلاك الشخصي فقط. وإذا لم تتم مثل هذه الإجراءات خلال وقت قريب، فسوف يتعرض الضب لخطر الانقراض والإختفاء من أراضي المملكة، كما سبق وحدث لحيوانات أخرى عانت نفس المصير، مثل المها العربي والنعام والفهد الصياد.

ذكره في مأثور القول والأدب. ورد كثير عن الضب في التراث العربي شعره

ونثره وأمثاله، فمما ورد عنه من الأمثال قولهم «إن تك ضباً فإني حسلة»، و«أخذه أخذة الضب ولده»، أي أخذه أخذة شديدة، أراد بها هلكته، وذلك أن الضب يحرس بيضه عن الهوام، فإذا خرجت أولاده من البيض ظنها بعض أحناش الأرض، فجعل يأخذ ولده واحداً بعد واحد، ويقتله فلا ينجو منه إلا الشريد، و«إذا أخذت بذنبة الضب أغضبته»، و«أول ما أطلع ضب ذنبه»، و«إنه لضب كلدة، لا يدرك حفراً ولا يؤخذ مذنباً»، والكلدة: المكان الصلب الذي لا يعمل فيه المحفار، وقوله لا يؤخذ مذنباً أي ولا يؤخذ من قبل ذنبه من قولهم «ذنب البسره»، إذا بدأ فيه الإرطاب من قبل ذنبه. و«بدت جنادعه»، الجنادع: دواب كأنها الجنادب، تكون في جحر الضب، فإذا كاد ينتهي الحافر إلى الضب بدت الجنادع، فيقال «قد بدت جنادعه والله جادعه»، و«حل بواد ضبه مكون» والمكن: بيض الضباب، والمكون: الضبة الكثيرة البيض، يضرب هذا المثل لمن نزل برجل متمول يتصرف ويتقلب في نعمائه.

ويقولون «أحير من ضب»، لأنه إذا فارق جحره احتار ولم يهتد للرجوع، و«خله درج الضب»، يضرب هذا المثل لمن شوهد منه أمارات الصرم، أي دعه يدرج درج الضب، أي دروجه ويذهب ذهابه. ومعناه خله ودعه في جحره وذلك أنه يحفر جحره درجاً بعضه فوق بعض، فإذا دخل فيه لم يدرك، فهذا درج الضب. و«أخب من ضب» ومنه اشتقوا قولهم «فلان خب ضب»، و«أخدع من ضب»، التخدع: التواري، والمخدع من هذا أُخِذ، وهو بيت في جوف بيت يتوارى فيه، وقالوا في الضب ذلك لتواريه وطول إقامته في جحره وقلة ظهوره، و«أروى من ضب» لأنه لا يشرب الماء أصلاً، وذلك أنه إذا عطش استقبل الريح ففتح لها فاه فيكون في ذلك ريه، والعرب تقول في الشيء الممتنع: لا يكون كذا حتى يرد الضب، ولا أفعل ذلك حتى يحن الضب في أثر الإبل الصادرة، وهذا لا يكون. و«أسمع من ضب»، و«حتى يؤلف بين الضب والنون» أو «سبحان الجامع بين الضب والنون»، والنون هو الحوت أي الجامع بين النقيضين، والضب لا يرد الماء والنون لا يعيش إلا فيه. و«ضباب أرض حرشها الأراقم»، و«ضبة حزن في حوامي قلع»، والحوامي النواحي والأطراف، والقلع الصخرة العظيمة. والضبة إذا كانت في مثل هذا المكان لا يقدر عليها صائدها، و«أضيق من مبعج الضب»، والمبعج هو

مستقر الضب في جحره لأنه يبعجه، أي يشقه ويوسعه، و«أطعم أخاك من عقنقل الضب» أي إنك إن تمنع أخاك يغضب، وعقنقل الضب كرشه، وهو معى من أمعائه، فيه جميع ما يأكله. وقالوا «أعقد من ذنب الضب»، وذلك لأن عقد ذنبه كثيرة قدرها بعض الأعراب بإحدى وعشرين عقدة.

ويقولون «أقصر من فتر الضب»، و«أقصر من إبهام الضب»، و«كل ضب عند مرداته»، والمرداة هي الحجر الذي يضرب به، والضب قليل الهداية، فلا يتخذ جحره إلا عند جحر يكون علامة له، فمن قصده فالحجر الذي يرمي الضب به يكون بالقرب منه. وقالوا «لو ترك الضب بأعداء الوادي»، أي بنواحيه، واحدها عدا وعدوة، وقالوا «لا أفعله سن الحسل» أي أبداً، يقال إن الحسل، وهو ولد الضب، لا تسقط له سن. ويقال إن الضب والحية والقراد والنسر أطول شيء عمراً، ولذلك قالوا «أحيا من ضب»، لطول حياته. زعموا أن الضب يعيش ثلاثمائة سنة، وقالوا «لا تحسد الضب على ما في جحره»، و«ما نهيء الضب وما نضج»، يضرب لمن لا يبرم الأمر ولا يتركه فهو متردد. ومثله قولهم في المثل الشعبي «فيه لحم ضب».

وهناك بعض الأمثال التي يطلقها أهل البادية على الضب منها قولهم «فلان ضب يظهر من القدر»، وقولهم «كل

قال المثل: الضب ما يعرف ربه إلا مسلقى

ضب مربعانية

ضب وعنده عقرب»، وقولهم «الضب ما يعرف ربه إلا مسلقى»، وقولهم «ضب مربعانيه»، وكذلك قولهم «الضب شبعان دبا».

ومما هو معروف أن أهل البادية عندما كانوا يحضرون الضب لأولادهم لكي يلهوا به يقومون بخياطة فمه أولاً حتى يأمنوا شر عضته القاسية. وكان أولادهم ينشدون عند لهوهم به قائلين «ياضبيب البر وين يمناك، يا ضبيب البر وين يسراك، يا ضبيب البر اشرب هوا». ومن الموروثات الشعبية التي ترد على ألسنة الحيوانات قولهم إن الضب يطمئن أمه لكي لا تخاف عليه بقوله «ما لم تفح القدر عليَّ سبع مرات فلا تخافي عليَّ».

وكان أهل البادية يكنون عن عجيزة المرأة بالعكره على التشبيه ويقولون «فلان أعقد من عكرة الضب» أي ذنبه الغليظ المعقد، و«عاكر الضب» إذا كنس عند باب جحره من الداخل ثانياً عكرته التماساً للهواء البارد في أول فصل الصيف، و«عاكر الرجل» إذا جلس جلسة غير مستوية، فيها التواء، وكأنه الضب المنحني في فم جحره، و«تقصع الضب» أي سدَّ فم جحره، و«رأيت الضب على نثيلة جحره»، والنثيلة هي تراب الجحر، للاستدلال على الشيء بما يلازمه.

ومن القصص التي يرويها العرب عن الضب قصة الضب والضفدع. تقول العرب: خاصم الضب الضفدع في الظمأ

عكرة الضب

أيهما أصبر، وكان للضفدع ذنب، وكان الضب ممسوحاً. فخرجا في الكلأ، فصبرت الضفدع يوماً ويوماً فنادت: ياضب ورداً ورداً فقال الضب:

أصبح قلبي صردا
لا يشتهي أن يردا
إلا عراداً عردا
وصلياناً بردا

فلما كان في اليوم الثالث نادت: يا ضب ورداً ورداً. فلما لم يجبها بادرت إلى الماء وأتبعها الضب فأخذ ذنبها.

وأيضاً قصة الضب والنون (الحوت). يقولون إن النون قال للضب حين رأى إنساناً في الأرض: إني رأيت عجباً، قال: وما هو؟ قال: رأيت خَلْقاً يمشي على رجليه ويتناول الطعام بيديه فيهوي به إلى فيه، قال: إن كان ما تقول حقاً فإنه سيخرجني من قعر البحر، وينزلك من وكرك من رأس الجبل.

ومما جاء عن الضب في الشعر العربي قول بعض الشعراء:

وبعض الناس أنقص رأي حزم
من اليربوع والضب المكون
يرى مرداته من رأس ميل
ويأمن سيل بارقة هتون
ويحفر في الكُدَى خوف انهيار
ويجعل مكوه رأس الوجين
ويخدع إن أردت له احتيالاً
رواغ الفهد من أسد مكين

ويدخل عقرباً تحت الذنابى
ويعمل كيد ذي خِدَع طبين
فهذا الضب ليس بذي حريم
مع اليربوع والذئب اللعين

المكون: التي جمعت المكن وهو البيض في بطنها. المرداة: الصخرة. المكو: الجحر. الوجين: الأرض الصلبة. الطبين: المخادع الفطن.

وفي كتاب الطبيعة في شعر العصر العباسي الأول أن الضباب ارتبطت بحياة الصحراء والبداوة، لأن كثيراً من الأعراب يستطيب لحمها، ويأكلها أكلاً ذريعاً. مما جعل قاطني الحواضر والمدن يزرون عليهم حياتهم القاسية وغذاءهم الغليظ، وينفرون ممن يرتبط بها، لذلك قال بشار بن برد، يدفع عن نفسه البداوة:

ولا حدا قط أبي
خلف بعير جرب
ولا شويناً ورلاً
منضناضاً بالذنب
ولا تقصَّعت ولا
أكلت ضب الحزَب

وفي المقابل كان هناك شعراء بداة يعبرون في أشعارهم عن حبهم الشديد وشغفهم العارم بالصحراء العربية، وما يسري في بواديها من ضباب لذيذة، ويصبون سخطهم على الحواضر الجديدة وما تقدمه من غذاء غير محبب لديهم كأنواع البقول والأسماك. قال أحدهم:

لعمري لضب بالعنيزة صائف
تضحى عراداً فهو ينفخ كالقرم
أحب إلينا أن يجاور أرضنا
من السمك البني والسلجم الوخم

وكان بعضهم يجد متعة وهو يتتبع طريقة صيده لضباب الصحراء واحتياله للإيقاع بها، إذ يدخل يده في جحر ضب فيستخرج منه ضباً سميناً لم يلقح زوجاته فيهزل. وبعد أن يصيده يذبحه، ثم يضعه على النار ويشويه وينضجه، فإذا كشيتاه، أي شحمتاه داخل الصلب من أصل ذنبه إلى عنقه، تشتدان اصفرارا كأنما قد طليت خواصره وبطنه بالزعفران. وهذا الضب أفضل عنده بكثير من سمك البياح الصغير الذي لا يثير شهيته. قال:

أقول له يوماً وقد راح صحبتي
وبالله أبغي صيده وأخاتله
فلما التقت كفي على فضل ذيله
وشالت زايل الضب باطله
فأصبح محنوذاً نضيجاً وأصبحت
تمشي على القيزان حولاً حلائله
شديد اصفرار الكشيتين كأنما
تطلّى بورس بطنه وشواكله

فذلك أشهى عندنا من بياحكم
لحى الله شاريه وقُبِّحَ آكله

وعندما ذم الفضل بن يحيى أكل الضباب واستظرف أكل الزنابير، قال رجل هلالي يهجوه:

وعِلْجٌ يعاف الضب لؤماً وبِطْنَةً
وبعض إدام العلج هام ذباب

وجاء في كتاب الصيد والطرد في الشعر العربي ما يلي: الضب حيوان كيس، فهو لا يتخذ بيته إلا في الأمكنة الصلبة، خشية أن ينهار عليه بالسيل أو الحافر. ويحرص الضب على تعميق الحفر، ولذلك توجد براثنه ناقصة كليلة، لأنه يحفر في الصلابة، وفي بيت للشاعر خالد بن الطيفان، نجد هذا المعنى:

ترى الشر قد أفنى دوابر وجهه
كضب الكدى أفنى براثنه الحفر

ولدريد بن الصمة أيضاً قوله:

وجدنا أبا الجبار ضباً مورشاً
له في الصفاة برثن ومعاول
له كدية أعيت على كل قانص
ولو كان منهم حارشان وحابل

والضب مما يحب التمر، إضافة إلى الذئب والسمع والعقرب والثرملة (أنثى الثعلب) والحنفسة، عدّها أبي دارة في شعره، وكان صاحب قنص:

وما التمر الا آفة وبلية
على جل هذا الخلق من ساكن البحر
وفي البر من ذئب وسمع وعقرب
وثرملة تسعى وخنفسة تسري
وقد قيل في الأمثال إن كنت واعياً
عذيرك أن الضب يُحْبَلُ بالتمر

ولأن الضب يحب التمر فقد جعل الشاعر ابن دعمي الحجلي صيده بالتمر كصيده بالحبالة قال:

سوى أنكم دربتم فجريتم
على دربة والضب يحبل بالتمر

ويصف دعلج عبدالمنجاب ضباً بالكبر، حتى يبلغ كبره أن يتجاهل المخاطر والمهالك، فيطاول الصياد الذي ينصب الحبالة، ويظهر له وذلك أنه ألفى الضب نفسه بين ضباب كثيرة:

إذا كان بيت الضب وسط مضبة
تطاول للشخص الذي هو حابله

ويتمنى أبو حجين المنقري، أن يحظى بمكان في البادية، ليس فيه مسجد، يتفرغ فيها إلى صيد الضباب وأكلها، فإذا حان وقت الصلاة، ينصرف إليها وريح الضب لما تزل في يديه، ثم يتشهى شرب ماء في مكان اسمه لينة:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة
بأسفل واد ليس فيه أذان

وهل آكلن ضبا على جال تلعة
وعرفج أكماع المديد خواني
أقوم إلى وقت الصلاة وريحه
بكفيَّ لم أغسلهما بشنان
وهل أشربن من ماء لينة شربة
على عطش من سؤر أم أبان

وقال الراجز:

يارب ضب بين أكناف اللوى
رعى المرار والكباث والدبا
حتى إذا ما ناصل البهمي ارتمى
وأجفئت في الأرض أعراف السفا
ظل يباري هبصا وسط الملا
وهو بعيني قانص بالمرتبا

المرار: شجر مر، الكباث: النضج من شجر الأراك، وقيل حمله إذا كان متفرقاً. الدبا: أولاد الجراد قبل أن يطير، البهمي: نبت، ويريد بالناصل: سنبل البهمي وهي الصمعاء، السفا: أطراف السنبل، الهبص: الحريصون على الصيد الملا: المتسع من الأرض.

وقال البحتري:

سأصبر صبر الضب في الماء أو كما
يعيش بديموم الصريمة حوتها

وقال عبدة بن الطبيب:

ما كنت أول ضب صاب تلعته
غيث فأمرع واسترخت به الدار

وقال امرؤ القيس:

وترى الضب خفيفاً ماهراً
ثانياً برثنه ما ينعفر

وقال ابن الرومي:

غدا الحارشون معاً للضباب
لا للمقرنة النهش

وقال الحماني العلوي في وصف الضب:

نرى ضبها مطلعاً رأسه
كما مد ساعده الأقطع
له ظاهر مثل برد موشى
وبطن كما حسر الأصلع
هو الضب ما مد سكانه
وإن ضمه فهو كالضفدع

وقال كُثير عزة:

فإن شئت قلت له صادقاً
وجدتك بالقف ضباً جحولا
من اللاء يحفرن تحت الكدى
ولا يبتغين الرماث السهولا

القف: ما ارتفع من الأرض وصلب الجحول: العظيم من الضباب. وقال أبو الهندي:

أكلت الضباب فما عفتها
وإني لأشهى قديد الغنم

قال أبو الطيب المتنبي:

ومنعفر لنصل السيف فيه
توارى الضب خاف من احتراش

وقال في موضع آخر:

خـرَّاب بـاديـة غـرثـى بطـونـهـم
مكـن الضـباب لـهم زاد بـلا ثمـن

وقال شاعر:

أشـب لـعيـنـي مـسلـحِـبّ كـأنه
بذي الطرف في آل الضحى وطب رائب
مـن الصـفر دحـداح تـرى بلـبـانه
بصـاق الذنـابى أو بـصاق الجنـادب
وبـالأنـف والخرطـوم جـون كـأنـه
منـاضح رب حـالك اللـون حالـب
فـما زال كـالموقـوذ حتـى غـشيـته
وكـان قريـباً قـدر مـهوى المـواثـب
فولـى شديـد الجذب لا يـستطـيعـه
رفيـق ولا مسـتعجـل النـتر جـاذب

مسلحب: مستطيل، الوطب: وعاء اللبن، دحداح: ممتـلئ، الجنادب: من فصيلة الجراد، بصاقها: لونه بني غامق، الرب: دبس يوضع بأواني السمن كالنحر والعكة، المواثب: من يثب إليه، النتر: القفز. وقال جرير:

يـثيـر الكـلاب آخر الـلـيـل صوتـه
كـضب الـعـراد خـطوه مـتـقـارب

وقال في موضع آخر:

فـيـاعـجـبـي أتـوعـدنـي نمـيـر
بـراعي الإبـل يـحتـرش الـضبـابـا

وقال الخليل بن أحمد الفراهيدي:

ترقـى به الـسفن والـظلـمان واقفـة
والـنون والـضـب والملاح والحـادي

وجاء ذكر الضب في الشعر النبطي، كما في قول حميدان الشويعر مشبهاً أحد الرجال به:

يـاضبـيب الـصفـا ما تجـي إلا قفـا
ما تجـي الا مع النـخش والنـخجرة

الصفا: الـصخر، قفا: يسيـر على قفاه، النخش: تحريك الضب في جحره، والنخجرة: الوخز والطعن وشدة محاولة إخراجه. وقال علي بن سلامه السرباتي:

أربع شوازل صيـدهن سحل ومكون
الـقيـلة الـلـي خايـب من رجـاهـا

الشوازل: بـنادق الخرطوش المـعدة للصيد، السحل: حسل الضب، المكون: أنثى الضب ذات البيض، القيلة: الرحلة للنزهة.